

أحمد عبد الغفور عطار

قضايا

ومشكلات الغوية

الطبعة الأولى
١٩٨٢ - ١٤٠٢ هـ



أحمد عبد الغفور عطار

قضايا

ومشكلات الغوية

الطبعة الأولى
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
جدة - المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النَّاشِر
تهامة

جسدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤٤

قَضَايَا
وَمَشْكَلَاتُ الْغَوَايِي



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١١
حديث إلى مجلة الفيصل	١٥
قواعد العربية صحيحة وسليمة	٣٥
الأدب الشعبي	٣٨
دعاوى تفصح عن بطلانها	٤١
صعوبة الفصحى	٤٤
الفصحى لا تصلح لأن تكون لغة الحياة	٤٧
لماذا لا تصلح الفصحى ؟	٥٠
هل العربية قاصرة ؟	٥٣
استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي	٥٦
لماذا نستبدل العامية بالفصحى ؟	٥٩
الدعوة إلى إنطاق أبطال القصص كما ينطقون في واقعهم	٦٢
الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والعلم	٦٥
العامية بدل الفصحى	٦٨
نطاق العامية شديد الضيق	٧١
ازدواجية الفصحى	٧٥
(١) ازدواجية اللغة أو الانقسام اللغوي	٨٠
(٢) ازدواجية اللغة أو الانقسام اللغوي	٨٣
(٣) ازدواجية اللغة أو الانقسام اللغوي	٨٦

الموضوع	الصفحة
اللغة العربية ليست اللغة المتقعة	٨٩
ليس الإعراب نافلة ولا حلية	٩٤
إلغاء الإعراب	٩٧
عودة إلى إلغاء الإعراب	١٠٠
أبناء هذه الأيام لا يعرفون الأمثال	١٠٣
لماذا أهمل أبناء هذا الزمان الأمثال ؟	١٠٨
المسرح واللغة العامية	١١٣
الضعف في العربية	١١٦
معجم القرآن الكريم	١٢٠
انشروا لغة القرآن بدل نشر ترجمات معانيه	١٢٣
نشر لغة القرآن وتعليمها أجدى من ترجمة معانيه ونشرها	١٣١
أيهما أولى وأجدى ترجمة معانى القرآن أم نشر لغته ؟	١٤٠
كم عدد من يقرأ ترجمة معانى القرآن ؟	١٤٣

مقدمة

أكثر فصول هذا الكتاب أحاديث أذيعت منذ بضعة شهور من الاذاعة السعودية إلا حديثاً لمجلة « الفيصل » نشرته منذ سنتين ، وإلا بضعة فصول أخر نشرت ببعض الصحف قريبا ، وإلا فصولاً معدودات لم يسبق نشرها .

وكل ما في هذا الكتاب وقف على اللغة وبعض قضاياها ومشكلاتها ، وما قُذِفَتْ به من تهمة وأباطيل من قِبَلِ أعداء العربية الذين هم أعداء القرآن والاسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ، وقد رددنا عليهم وفندنا أباطيلهم ، وأثبتنا أن كل دعاوهم قائمة على الباطل والبهتان .

وإذا كان أكثر هذه الفصول ثمرة رجاء الأستاذ حسين العسكري مدير إذاعة جدة الذي أجبرتنى مكارم أخلاقه على أن ألبى طلبه فأكتب له أكثر هذه الفصول ، فإن صدور هذا الكتاب ثمرة رجاء مؤسسة « تهامة » التي تعد من أكبر دور النشر في العالم العربي ، وإن كانت أكبر دار نشر ببلادنا .

ومزية « تهامة » أنها لم تحترق نشر الكتاب طمعا في ربح ، وإنما كان نشر الكتاب رسالة تضطلع بها نشرًا للمعرفة والثقافة ، وخدمة للكتاب السعودي ، وإن كان ذلك كلفها مئات الآلاف خسرتها ، ومع ذلك تستمر في أداء الرسالة ، وما يراه الناس خسارة

تراه توضحية وقربانا تقتضيهما الرسالة .

ولا عجب أن تكون مؤسسة « تهامة » بهذه الخليقة الكريمة الفاضلة ، فمن أسسوها حسبوا حساب التوضحية ، وليست هي بخسارة في مفهومهم .

أليس في الشر مزاج ؟ بلى ، إن لاعب القمار يعلم أنه سيخسر ، ومع ذلك يستمر في اللعب ، وقد يخسر مئة مرة أو أكثر ، فإذا سألته وأنكرت عليه أجاب : إنى أعلم أنني سأخسر ، ومع ذلك ألعب ، لأن المسألة مزاج .

فإذا كان في الشر مزاج أفلا يكون في الخير مزاج ؟ بلى .

كذلك الأمر بالنسبة لمؤسسة « تهامة » التي رضيت بالتوضحية التي ستثمر بمشينة الله ما يعوض الخسارة مقرونا بالغنم الأدبي وعرفان الأمة لها بالجميل .

ولقد أخصبت المكتبة السعودية أيما إخصاب بجهد تهامة ، فأخذنا نتخير من الأطايب ما نرجو ، وقد قيل : من أخصب تخير .

وقد استطاعت تهامة خلال وقت قصير كل القصر أن تعطى القراء على مختلف أعمارهم وميولهم سبعين كتابا في مختلف فنون المعرفة .

ومنذ خمس سنوات طلب إلي الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع وزير الحج والأوقاف أن أكتب له « تقريرا » في نشر التراث الذي تحفل به مكتباتنا بمكة المكرمة والمدينة المنورة حرسهما الله ، لأن معاليه يود أن تعنى وزارته بهذا الأمر الجليل ، فكتبت له رأيي ، مبتهلا الى الله أن يوفق الوزير لما يصمد له بفضله وكرمه .

والآن وقد برزت الى الوجود مؤسسة « تهامة » العملاقة الضخمة فإن تحقيق مآمل معالي وزير الحج والأوقاف ليس بعسير إذا اشتركت تهامة التي استطاعت في زمن يسير أن تعطى العطاء الشر الكثير .

وإذا كانت دور نشر أجنبية تضخمت من عطاء مملكتنا ، واغتنت من تعاملها مع بعض الوزارات والمؤسسات السعودية فإن خير بلدنا يجب أن يكون من نصيب أبنائه

المخلصين على الدوام ، لا الذين يحزنون لفرحنا ويفرحون لحزننا ، ويصفوننا بما نكره وهم كاذبون ، وفيهم أصحاب لى .

إنهم يتظاهرون بحبنا ، فاذا خلوا الى أنفسهم سخروا بنا وبأمتنا وحكومتنا .

والمؤسسة الوطنية المخلصة أحق بأن يكون الغنم من نصيبها ، لأنه حقها الشرعي .

وإذا كانت تلك الوزارات والمؤسسات فى حاجة الى كتب ملكت دور النشر الأجنبية حق طبعها ونشرها فأرى أن يتم التعامل معها بوساطة المؤسسة السعودية ليكون لها النصيب الأوفى من الربح .

وإذا كانت من كتب التراث ففى وسع المؤسسات السعودية تحقيقها من قبلها ثم طبعها ليكون الربح للوطن وأبنائه .

وأرى أن تحصل مؤسسة تهامة على امتياز توريد أى كتاب غير سعودي تكون الحاجة اليه حتى لا يستأثر الأجنبي بالمغنم ويذهب وحده به .

أعرف ناشرا كبيرا تجمعنى به صلة مودة وثيقة ، وذات يوم أخذ يفترى على حكامنا فرددت عليه وخاصمته ، وكتبت رأبى لحكومتى .

ومثل هذا لا يهمه من دخول بلادنا ، وكل ما يهمه أن تصل إليه الغنائم والأرباح ، وهى تصل اليه وهو فى بيته وببلده ، وحرام أن ندعه يسمن من لحومنا ويرتوى من دمائنا ، بل يجب أن نمنع وصول الغنائم والأرباح اليه بمنع منشوراته من دخول بلادنا ، وأن نفطن للحيل والخداع .

وما يزال هذا الناشر اللثيم يشرى على حساب بلادنا ، ويفرق أسواقها بمنشوراته ، وأرجو من وزارة الاعلام أن تمنع التعامل مع الدار التى يملكها هذا الناشر الزنيم .

وأعرف كثيرا من دور النشر والمطابع فى العالم العربى ، وفيها دور نشر وطباعة أثمرت من بلادنا وحكومتنا وأمتنا ، وما زالت تشرى ، وكان ردها للجميل نكرانا وتنكرا

وذما وتجربحا ، ويجب أن نقطع عليهم هذا الطريق ، لأننا نأبى أن نتهم بالغفلة ، وأن
نعامل على أساس المثل العامي « حسنة وأنا سيدك » .

أحمد عبد الغفور عطار
مكة المكرمة

الجمعة ١٨ رجب ١٤٠١ هـ
١٩٨١/٥/٢٢ م

حديث إلى مجلة الفيصل

- حاجة المبدع في الأدب إلى اللغة
- دور اللغة في فن الأدب والكتابة
- إرتباط اللغة بالإنسان ضعفا وقوة
- دعوى العربية لغة بداوة انتهى عصرها ودورها
- هل أدت المجامع اللغوية دورها ؟
- هل العربية في حاجة إلى مساعدة السلطة ؟
- إنشاء مجمع لغوي سعودي
- لا أجز غير الشعر الفصيح
- محاولة إحياء أي ضرب من ضروب العامية خطأ
- العربية تتسع لمختلف الآداب والعلوم والفنون
- أهنأك فرق بين القواميس القديمة والحديثة ؟
- هل فكرت في تأليف معجم ؟
- مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة
- الأندية الأدبية
- الاستشراق والمستشرقون

حاجة المبدع في الأدب إلى اللغة

ج ١ - من البديهيّات أن نقول : اللغة هي الفكر ، وهي الأداة التي نعبر بها عن كل ما نريد التعبير عنه سواء أكان في الآداب وبعض الفنون والعلوم والفلسفة . ونقول بعض الفنون لأن منها ما يعبر عنه بغير الكلمة مثل الرسم والموسيقى .

أما أن حاجة المبدع في الأدب إلى اللغة أقل من حاجة العلماء الباحثين إليها فذلك زعم غير صحيح ، فالعلماء الباحثون يبدعون ، مثلهم مثل الأدباء والشعراء والقصاصين ، فهم سواء في الحاجة إلى اللغة ، وقد يكون الأديب أكثر حاجة من العالم إلى التطلع في اللغة ، فشكسبير في الإنجليزية ، وشوقي وعلي محمود طه في العربية كانوا يملكون ثروة لغوية كبيرة تتكافأ مع ثروة مصطفى مشرفة وانيشتاين ، بل تزيد ثروتهم عن هذين العالمين في اللغة .

وزعم الزاعمين أن المبدع الفنان في غير حاجة إلى ثروة ضخمة من اللغة ، وإنما يكفيه القليل منها زعم ينقضه الواقع ، فالفقير في اللغة فقير في العاطفة والاحساس ، والغني فيها غني فيها ، فامرؤ القيس كان غنيا في اللغة ، ولهذا كان غنيا في العاطفة .

وكلما ازدادت ثروة الأديب اللغوية ازداد إبداعه في التعبير . فالطفل - مثلا - محدود في صوره البيانية . لأن محصوله من اللغة ضئيل . والعامي كذلك . وكلما كبر الطفل اتسعت مداركه ومعارفه باتساع أفقه اللغوي .

فالفقير في اللغة سواء أكان أديبا أم عالما فقير في إبداعه . فقير في عاطفته . فقير في صوره الفنية .

وهذا طبيعي . فإذا كان الأديب يملك من اللغة عشرة آلاف كلمة كانت لديه عشرة آلاف صورة . فإذا قل أو كثر محصوله تبع ذلك الصور والمعاني قلة وكثرة . وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور مبدعان . وكل منهما ذو ثروة لغوية ضخمة . ولذلك كان ذا اثر عظيم في المعاني والصور . ولم يدعيها أو أمثالها تلك المقولة التي لا يدعيها الا الضعفاء في الإبداع .

والضعيف لا يكون مبدعا . لأن الإبداع وليد القوة .

ولم ير بني في اللغات الأخرى مقولة هؤلاء في العربية . فمحمد إقبال شاعر باكستان الأكبر وأديبها الأعظم وفيلسوفها . و« طاغور » شاعر الهند وأديبها وفيلسوفها إمامان كبيران في لغاتهما . فكلاهما غني في مفردات لغته . وعليم بقواعدها وفصيحها ونواذرها وقواعد الإملاء . ومن أبلغ ما كتب في تلك اللغة .

وكذلك الأمر في المبدعين في كل لغة . ولا تجد مبدعا في الأدب بكل فروعه إلا وهو غني في مفردات لغته . وعليم بقواعدها وقواعد الإملاء فيها . فمقولة من يزعمون أن حاجة المبدع في الأدب إلى اللغة أقل من حاجة العالم الباحث باطللة ومردودة . لأن العالم محدود نطاقه بحدود العلم الذي برز فيه . أما الأديب أو القصاص المبدع فنطاقه أبعد آفاقا ودنياه أكثر اتساعا . وذلك يقتضيه أن يكون ذا ثروة لغوية جد ضخمة .

فقصص توفيق الحكيم - مثلا - تحوى نظريات واءاء في الفلسفة والاجتماع وعلم

النفس وغيره من العلوم والفنون والفلسفات . وقد نجد في أقصوصة من أقاصيصه متسعا لعلوم وفنون مختلفة . ومن الشواهد على ذلك مسرحيته التى بعنوان « اللص » وعشرات من مسرحياته الصغيرة .

وما إبداع اصحاب تلك المقولة ؟ هات واحدا منهم وانظر أي ابداع لديه . وأرنيه .

إذا كان لديه إبداع فهو مأخوذ عن غيره . أو هو قليل ونادر مثل ما نجد عند العامة من إبداع منبثق من الفطرة والسجية .

س - دور اللغة في فن الأدب والكتابة ؟

ج - اللغة هي الأساس . ومن غيرها لا وجود لفن الأدب والكتابة . فانسان الغابة أو الهمجي المتأخر في اللغة لا نجد لديه أدبا ولا شعرا ولا نثرا . وإنما نجد فن الأدب والكتابة حيث تكون لغة . ثم نجد أدب اللغة المحدودة أدبا محدودا . وأدب اللغة الحية العظيمة مثلها عظماء وحيوية .

ومن مهام اللغة أن تربي في صاحبها الذوق وتحبي الملكة . وتأثير الكلمات أمر مقرر لا اختلاف فيه . فكلمة « الثأر » وكلمة « الدم » تؤثران في البيئة التى تعيشان هي ومثيلاتها فيها . فنجد أصحابها يألفون منظر الدم المراق والقتل والاعتداء . ويهون لديهم إزهاق الأرواح .

وفي البادية والأرياف حيث تقل الأشواق العليا والثقافة الدينية . وتفرح فيها كلمات الثأر والدم والقتل . وتقل مفردات اللغة التى يستعملونها يألفون القتل . وترخص عندهم الأرواح .

فإذا كثر محصول بيئة من البيئات في مفردات اللغة اقترن بهذه الكثرة تمدن هذه البيئة وشيوع مكارم الأخلاق فيها .

فاللغة تتحكم في أصحابها . فإذا كان لكلمات الثأر والدم في البادية أثر سيئ فإن

لكلمات السلام والمحبة والخير والجمال أثراً حسناً في البيئات المتحضرة .

فاللغة تربي الذوق وتحيي الملكة ، وكلما كثر غنى الانسان في اللغة كثرت مزاياه .
والأديب أو الكاتب الغني بمفردات لغته . والمتمكن فيها نجد عنده هندسة بناء
الجملة والتراكيب هندسة رائعة ، والشواهد على ذلك من ذكرناهم مثل الحكيم وتيمور
وشوقي وعلى محمود طه ومحمد اقبال وطاغور وغيرهم .

فهؤلاء لما كانوا أثرياء في اللغة كانوا أثرياء في الاحساس . وبلغوا في هندسة بناء
الجملة الذروة العليا .

والفوارق كثيرة بين الأغنياء الأقوياء في اللغة والفقراء الضعفاء فيها تبدأ من
الاسم . فالغني أعظم من الفقير . والقوى أكبر من الضعيف . وتدين المجتمعات
وتتطور بالقوة والغنى لا الضعف والفقير .

فالغني في لغته يكون أقدر على استعمال المفردات وعلى التصرف فيها . ويكون
أكثر إبداعاً في هندسة بنائه . وطبيعي أن يكون الإبداع من نصيب الغني القادر .
وعندما يجتمع للانسان الغنى والقدرة يكون نصيبه من الإبداع أكبر ، ويكون أسلوبه
رائعاً وجميلاً وقوياً .

وتكافؤ المواهب طبيعي . فالأديب الثري في لغته أقوى من الفقير الضعيف ، وكل
المبدعين في الأدب في جميع اللغات هم أثرياء أقوياء فيها . والفقراء الضعفاء فيها هم
غير المبدعين . لأن الإبداع نتاج الملكة الغنية القوية .

ومن كان فقيراً ضعيفاً في لغته لا يمكن أن يسلس له الإبداع قياده ، لأن الإبداع
نفسه قوة وثناء ، ولا يمكن أن يكون الإبداع نتاج الضعف والفقير .

إن الضعيف الفقير في لغته ضعيف في ملكاته ، فقير في قدراته . ضعيف في
أسلوبه . وفقير في معانيه وصوره البيانية . ضعيف في ثقافته ومحصوله العلمي
والأدبي والفني .

ومما لا شك فيه أن الضعيف في لغته ضعيف في ثقافته وفي تعبيره . وضعيف الارتباط بترائه كله .

والقوى الثري في اللغة أصح فكرا من الضعيف الفقير فيها . وأكثر فهمها لما يقرأ . وأسهل هضما . وأعظم استيعابا . وأشد تمثيلا للغذاء . وأقدر على الاستشمار والابتكار والعطاء .

واللغة قد حددت المعاني . ومن الألفاظ ما يتفق القوي والضعيف في فهم معانيها في حدود الظاهر . فهما لا يختلفان في أن الضعف مرض . والفقر هبوط .

س - ارتباط اللغة بالانسان ضعفا وقوة ؟

ج - نعم . ترتبط اللغة بصاحبها قوة وضعفا . فعندما كان العرب أقوياء كانت لغتهم قوية ابتكروا آلاف الكلمات والمصطلحات . ومئات العلوم . واتسعت لغتهم لكل جديد منها كان مصدره . ولم تضق قط بحديث .

ابتكروا في الدين علوما كثيرة . مثل أصول الفقه والحديث . وفي اللغة النحو والصرف والبلاغة والعروض والمعاجم . وفي ميدان العلوم أوجدوا علوما كان العالم كله عالة على العرب الأقوياء في لغتهم .

ولما ضعف العرب أصاب لغتهم عدوى ضعفهم . وفقدت شيئا كثيرا من قوتها وحيويتها . وزاد من ضعفها محاربة أعدائها إياها .

ولكن الله الذي تكفل بحفظ كتابه حفظ لغتها فلم يستطع الأعداء من النيل منها . بل انهزموا في كل الميادين . انهزموا في ميدان الدعوة الى اتخاذ العامية بدلا عن الفصحى . وفي ميدان الدعوة الى إلغاء الإعراب . وفي استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي . إلى غير ذلك من دعوات هدم الفصحى .

س - ما دمتم ذكرتم العامية ومحاربة الفصحى فما رأيكم فيمن يزعمون أن اللغة العربية لغة بداوة وقد انتهى عصرها ودورها ؟

ج - هذه دعوى أعداء القرآن . ومن أشدهم حقدا سلامة موسى الذى أطلق القذائف على القرآن والاسلام ولغتها . وزعم أن الفصحى لغة ميتة . ويجب أن نستبدل بها العامية .

وليس بغريب على سلامة موسى صدور هذه الدعاوى فهو صليبي حاقد متطرف وما قدم داعية دليلا على فساد دعوته مثل ما قدم سلامة موسى . فهو الذى أفنى حياته فى الدعوة الى العامية لم يكتب قط بالعامية . فهو واثق أن العامية لا تصلح لأن تكون لغة الكتاب والعلم . ولكنه يدعو اليها ليباعد بين الاسلام وأهله والعرب ولغتهم .

وإذا كنا لا نستغرب صدور الدعوة الى العامية من سلامة موسى ودعواه موت العربية وفقدانها الصلاح لهذا العصر فان مما يستغرب له تأييد بعض العرب المسلمين تلك الدعوى الهدامة .

فالمسلم الذى يؤيد زعم أعدائه فى فقدان العربية الصلاح لأن تكون لغة هذا العصر مرتد . لأن هذا الزعم يشمل القرآن الكريم . وحسب دعواهم : لا يصلح القرآن لهذا العصر .

وهذا كفر وارتداد . فالقرآن الكريم صالح بلغته وبكل ما حوى لكل زمان ومكان .

س - هل أدت المجامع اللغوية دورها ؟

ج - المجامع اللغوية تضطلع بمهام ضخمة . وهي تؤدي واجبها بالقدر الذى تتسع له قدرتها . أما الانتفاع بجهودها كما تتوخى المجامع فليست التبعة عليها . فالله سبحانه وتعالى يأمر بالخير كله . ومع هذا يعصونه وهو خالقهم . والله عز وجل يقول : (وما قدروا الله حق قدره) فإذا كان الخلق لا يقدرُونَ خالقهم ورازقهم فلا تعجب من المشتغلين بالعربية إذا لم ينتفعوا بجهود المجامع .

إنها تعطيهم على الدوام . ولكن الناس لا ينتفعون بهذا العطاء . فلا تبعه على
المجامع . وإنما التبعه على الناس .

وبعض الصحف العربية الهدامة تسخر من المجامع اللغوية وتختلق عليها
الأكاذيب لتتفر الناس منها . ومن ذلك زعمها أن المجمع اللغوي المصري وضع
للساندوتش هذه الجملة : « الشاطر والمشطور بينهما الكامخ » وتناقلتها الصحف في
العالم العربي كله . واخذت « تتريق » على مجمع مصر اللغوي الذي نسبوا اليه
تلك الجملة .

وهذه الفرية وغيرها مما أطلقتها الصحف وليدة أعداء الفصحى ، أرادوا من بهتانهم
تشويه سمعة المجامع اللغوية التي لا تملك ما يساعدها على نشر نشاطها على نطاق
الجهاير .

وأعتقد أن المجامع اللغوية قد نجحت في مهامها . فقد أوجدت آلاف
المصطلحات في الآداب والعلوم والفنون والفلسفة . ولكن الانتفاع بها ضئيل كل
الضالة . ولم يكن الانتفاع بها بالقدر الذي أرادته المجامع . فهي لم تعرف بين
الجهاير لأن من وضعت لهم تلك المصطلحات لم يهتموا بها ولم يقبلوا عليها فبقيت
محصورة في رسائل المجامع ومجلاتها التي لا نجدها في السوق مع المجلات الأخرى .
أنا نفسي أحد حماة الفصحى المشتغلين بالعربية . وأود الحصول على صحف
المجامع . ولكني لا أجدها في أسواق بلدي بل لا أجد في أسواق القاهرة مجلة المجمع
اللغوي المصري . وكذلك الأمر في مجلة مجمع دمشق ومجمع بغداد .

فإذا كنت أنا المشتغل بالعربية لا أستطيع أن أجد مجلات المجامع وأنا الحريص
عليها فغيري لا يجدها ، وعلى المجامع « مسؤولية » في هذا ، لأنها لا تهبط الى
السوق والناس .

والمصطلحات تخص العلماء والأدباء ومعاهد العلم والكليات والجامعات . ومع هذا
لا تجد الاهتمام . فهذه المعاهد العلمية والكليات والجامعات لا تنتفع بالمصطلحات .

ولا نجد لها أثرا في الكتب والرسائل التي تؤلف من قبل أساتيد المعاهد والكليات والجامعات .

فإذا كان هؤلاء لا يهتمون ولا يعممون تلك المصطلحات فمن يهتم ؟ إذا كان أهل الشيء يضيعونه فغيرهم له أضيع .

وبهذه المناسبة أذكر أن ما خصص لمجامع اللغة لا يذكر لضعفه فالمجمع اللغوي المصري - وهو أقدم مجامع اللغة العربية - على سبيل المثال لا يملك من المال ما يتيح له نشر نشاطه على نطاق العلماء والجهاهير . ولو كان يملك المال لكان الانتفاع بجهود المجامع محققا وعلى نطاق واسع .

س - هل اللغة العربية في حاجة إلى السلطة لكي تنتشر وتقوى ؟

ج - نعم ، فعندنا ونحن البلاد العربية الأصيلة تنتشر العامية ، ونجد اللافتات مكتوبة بلغة غاية في الركاقة . ونجد الكلمات الأجنبية منتشرة انتشارا واسعا ، ولو اهتمت السلطة باللغة العربية لاستطاعت أن تحد من طغيان هذا الزحف على لغة القرآن والاسلام . ولا استطاعت أن تعمل على انتشارها وعلى سيادتها .

جوازات سفرنا مكتوبة بالعربية لغتنا ولغة بلادنا ، وبالانجليزية ، وكل الجوازات في العالم العربي مثلنا ، ولو خلت جوازاتنا من اللغة الأجنبية لما قبلتها منا الدول الأجنبية ، ولما سمحت لنا بدخول أقطارها .

أما « الأجانب » الذين يدخلون بجوازاتهم المكتوبة بلغاتهم بلادنا العربية فلا إثم عليهم ولا حرج ولا ملامة ، بل ترحب بهم السلطة .

والمقابلة بالمثل شريعة متبعة تعترف كل الدول بها إلا في البلدان العربية ، فهم لا يعترفون بها ، ولهذا اضطرت الدول العربية أن تكتب الجوازات بالعربية وباللغة الأجنبية .

ولما كانت المقابلة بالمثل شريعة متبعة فإن على الدول العربية أن تشترط على

الدول الأجنبية أن تكتب جوازات سفرها بالعربية أيضا إذا كان حاملوها يريدون دخول بلدان العربية . وإلا وجب أن تخلو جوازات سفرنا من غير العربية .

وهذا مما يجعل لغتنا العربية مهينة ، ورضينا نحن بهوانها ، لأننا لم نطالب بحقها وحققنا ، ولم نفرض على غيرنا احترامها أو الاعتراف بها كما فرضوا علينا احترام لغتهم والاعتراف بها .

س - أنت ممن يدعو الى إنشاء مجمع لغوي سعودي ؟

ج - نعم ، ولعل أسبق من دعا الى إنشاء مجمع لغوي سعودي ومن هذا السبق انني عندما كتبت مقدمة « تهذيب الصحاح » للزنجاني المطبوع سنة ١٣٧٢ هـ طلبت ودعوت الى إنشاء مجمع لغوي سعودي ، فأصحاب اللغة الأصلاء الألى أخذت عنهم الفصحى هم من قبائل الحجاز ونجد كقريش وقيم ، وعرب المملكة السعودية اليوم هم أبناء أولئك العرب ، فنحن أجدر أقطار العربية بوجود مجمع لغوي فيها .

وإذا كانت مصر ثم الشام والعراق أسبق منا في هذا السبيل فإن من الفرض أن يقوم في بلادنا مجمع لغوي سعودي يشارك المجامع الأخرى جهودها المثمرة .

وإذا كان الأردن البلد الصغير بسكانه وموارده الكبير بفتوحه العلمية والأدبية واللغوية قد أنشأ مجمعا لغويا فقد وجب ألا نتخلف عنه . وصدق الشاعر العربي المتنبّي إذ يقول :

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام
ولا عذر لنا في هذا التخلف ، فالمال كثير ، ولدينا جامعات كبيرة استطاعت خلال عقد من السنين أن تسبق جامعات سبقتنا في الوجود .

وحكومتنا ستستجيب اذا تقدم المشتغلون باللغة في بلادنا بطلب إليها ، ولتكن من « فتوحات » مجلة « الفيصل » أن تقوم بدعوة اللغويين والأدباء الكبار والعلماء إلى اجتماع يقررون فيه إنشاء مجمع لغوي سعودي، ويقدمون طلبا الى الحكومة في شخص

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء
وولي العهد .

ومعروف عن الأمير فهد انه من الغُر على العربية . وقد سبق عندما كان وزيراً
للمعارف أن عني بوضع مناهج تدريس اللغة العربية وكتب في سنة ١٣٧٥ هـ
(١٩٥٦ م) مقدمة معجم « الصحاح » للجوهري الذي حققته . والصحاح أصح
معجم في اللغة العربية .

وقد تحدثنا الى سموه غير مرة عن إقامة مجمع لغوي سعودي فأبدى قبول الفكرة
وتأييدها . ووقع القصور منا .

فهل تنهض « الفيصل » بالدعوة الى هذا العمل العظيم ، أرجو أن تنهض وهي
بإذن الله قادرة وموفقة .

س - هل أنت من المؤيدين لإحياء أي نوع من أنواع الشعر النبطي ؟

ج - لا . لست من المؤيدين ؛ فأنا لا أجز غير الشعر الفصيح . وليس ما يسمى الشعر
النبطي إلا شعراً باللغة العامية . وأنا خصم العامية . فالشعر المسمى عندنا « الشعر
النبطي » هو نفسه المسمى في مصر « الزجل » وكلاهما باللغة العامية . ومادام العامة
موجودين فلا حرج أن ينظموا بها أشعارهم . وفي بعض الشعر العامي في مصر ولبنان
والحجاز ونجد والشام والأردن وغيرها صور تعبيرية رائعة .

ولكن ، لا يحملني وجود هذه الروعة في بعض الشعر العامي أن أدعو الى تدوينه
والترويج له ، لأنني لا أوافق على أن أعمل على إيجاد ما يزاحم لغة القرآن .

س - إذن ، ما رأيك فيمن يحاولون إحياء أي ضرب من ضروب العامية عندنا أو عند
غيرنا في أقطار العروبة ويقدمون الحجج في تأييد محاولة الإحياء ؟

ج - ليس ما يقدمون حججاً ، وإنما هي أعذار يسوغون بها الخطأ وإن كانت الأعذار تبدو
في ثوب الحجج . وهي في حقيقتها أعذار والعذر عن خطأ ، فدعاة إحياء الشعر

العامي أو الاهتمام به مبررٌ كون أن في ذلك خطأ . فهم يقدمون الأعذار في ثوب الحجج .

ومعروف موقفي من العامية ، فأنا لا أجيزها ولا أوافق عليها ، ولا أرضى أن يكون بجانب الفصحى ما يزاحمها ويعارضها .

وخصوم الفصحى عندما دعوا الى اتخاذ العامية بدلا عنها قدموا بين يدي دعوتهم حججا تبدو لأول وهلة حججا قوية خداعة حتى ليظن كثير من الناس أن مقصد الدعاة حسن يريدون من دعوتهم الشعب ، فهم يريدون اتخاذ العامية لغة الشعب حتى يفهم الآداب والعلوم والفنون ، لأن الأكثر الشعب . أما متخذو الفصحى فشواذ ، والشاذ لا يذهب بالحق كله ، بل لا حق له بجانب حق الشعب .

وهذه حجة مبنية على المغالطة ، فالحضارة لا يبنيتها العامة ، بل الخاصة ، واليهام المرجح في الحكم ، ولا أقصد بالحكم ما يعرف عن الحكومة ، بل الحكومة يتولاها الخاصة لا العامة .

وهبوط الأعلياء في الأدب واللغة والكتابة سبة للشعب الذي هم منه ، وتزداد السبة شناعة اذا خلا منهم .

وهؤلاء الدعاة يعرفون أن كل شعوب العالم ليسوا أعلياء في اللغة والكتابة ، وإنما الأعلياء نادرة فيهم ، ولم يخرج من الشعب دعاة إلى العامية وأدبها إلا في العالم العربي ، ولم تصدر الدعوة من أساسها من عرب مسلمين ، بل صدرت من بعض الألمان والانجليز .

ونعود الى الشعر العامي ومنه ما يسمى الشعر النبطي لأقرر أنى لا أجيزه ولا أقرؤه إلا نادرا وبخاصة بعض الزجل المصري واللبناني .

س - هناك ما يسمى لغة الصحافة ولغة الإعلام ولغة الأدب .. الخ فما رأيكم في ذلك ؟

ج - لغتنا العربية تتسع للصحافة والإعلام والأدب والعلم والفن ، ولغة كل ذلك العربية .

أما هذه اللغة المستعملة في صحافتنا فهي عربية إلا أنها ليست اللغة العربية الصحيحة السليمة . بل هي اللغة المريضة فأكثر كتاب الصحافة في بلادنا وفي العالم العربي لا يحسنون قواعد اللغة والكتابة . ولهذا كانت الكتابة الصحفية ركيكة ومزدحمة بالخطأ النحوي والصرفي واللغوي والإملائي .

فما ينشر في الصحف أقرب الى العامية .

وأنا لا أكلف كتاب الصحف أن تكون لغة ما يكتبونه عالية كلفة الجاحظ أو طه حسين أو عبد القدوس الأنصاري أو في أساليبهم القوية المشرقة . بل أطلب إليهم أن يلتزموا بقانون العربية عندما يكتبون بها . ويجب أن يعرفوا هذا القانون فلا يرفعون التمييز والحال ولا ينصبون الفاعل أو المجرور . ولا يجمعون المفرد جمعا غالطا .

فاذا جهلوا قواعد العربية والإملاء فان كتابتهم تكون غالطة . وحينئذ لا تكون سليمة صحيحة . وعندئذ تكون كتابتهم عامية . لأن العامة لا يتقيدون بقانون الفصحى . ولهذا كانت كتابتهم عامية غير فصيحة .

س - بالنسبة للقواميس ، هل هناك فرق بين القواميس الموضوعية قديما والموضوعية حديثا ؟ وأي القواميس أسهل للباحث عندما يريد معنى كلمة ؟ القديمة أم الحديثة ؟.

ج - أولا . أحب أن أذكر لك أن القاموس ليس مرادفا للمعجم . فالقاموس اسم معجم لغوي عظيم ألفه الفيروز أبادي المتوفى سنة ٨١٦ هـ ولشهرته جعله كثير من الناس وبينهم علماء مرادفا للمعجم . وليس القاموس بمرادف للمعجم .

ومناهج تأسيس المعجمات قديمة . ومؤلفو المعجمات الحديثة لم يبتكروا منهجا جديدا . بل هم ساروا على منهج عرف منذ ألف سنة .

ومدارس المعجمات العربية أربع :

المدرسة الأولى - مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ مبتكر علم

العروض . ومعجم « العين » أول معجم الف في العربية . ومنهجه على الحروف حسب مخارجها . مبتدئا بحروف الحلق . مفتتحا بكتاب العين . وأطلقه على معجمه وأبتدأ بالعين لأنه أبعد الحروف مخرجا .

وإذا ذكر الكلمة ذكر مقلوباتها . مثل كلمة « بحر » يذكر معها برح . رجب . ربح . خبر . حرب .

المدرسة الثانية - مدرسة أبى عبيد القاسم بن سلام ، وتوفي بمكة حرسها الله سنة ٢٢٣ هـ .

وبنى معجمه على المعاني والموضوعات ، فيذكر في السلاح أو العسل . أو خلق الانسان - مثلا - ما وصل الى علمه من الكلمات مع شرح معانيها .

المدرسة الثالثة - مدرسة أبى نصر اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣ هـ وقيل : في حدود الأربعمئة .

وأساس هذه المدرسة ترتيب الكلمات باعتبار أواخرها . ثم النظر الى الترتيب الهجائى عند ترتيب الفصول . وسمى الأول بابا . والثاني فصلا . فكلمة « فصل » تجدها في باب اللام . لأنها آخر حرف فيها . وتقع في فصل الفاء لأنها مبدوءة بها . والجوهري مبتكر منهج الصحاح دون منازع . وقد خطا بالتكليف المعجمي أوسع خطوة عرفها تاريخ المعجمات العربية .

المدرسة الرابعة - مدرسة محمد بن تميم البرمكي الذي كان حيا سنة ٣٩٧ هـ ولم يؤلف معجما ؛ وإنما رتب صحاح الجوهري على ترتيب حروف الهجاء مبتدئا بالهمزة . منتهيا بالياء . وهو الترتيب الذى اعتمده مؤلفو المعجمات العربية في العصر الحديث مثل : المنجد . وأقرب الموارد . والمحيط . والبستان . والمعجم الوسيط الذى أصدره المجمع اللغوي المصري الحديث .

ولا شك أن من بركات « الصحاح » تأسيس مدرسة البرمكي التى اتبعها مؤلفو المعجمات التى مر ذكرها . فليس للمحدثين منهج خاص ابتكروه . وإنما وجدوا طريقا معبدا فسلكوه .

وهناك منهج عظيم في تأليف المعجم العربي ابتكره إمام عظيم في اللغة وعلوم العربية والدين هو نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ هـ في معجمه الفريد المسمى « شمس العلوم ، ودواء كلام العرب من الكلوم ، وصحيح التأليف ، ومعجم التصنيف ، والأمان من التصحيف » .

ونظامه - كما شرح نشوان في مقدمة معجمه - أنه جعل لكل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعل لكل حرف معه من حروف المعجم بابا ، ثم جعل كل باب شطرين : أسماء وأفعالا ، ثم جعل لكل باب وزنا ومثالا .

واتخذ منهج الخليل في تقسيم الحروف الى مجموعات ، فبدأ بحروف الحلق مبتدئا بالهمزة فالهاء فالعين فالحاء فالغين فالخاء ، منتهيا بالواو فالياء فالألِف وهي الأحرف الهوائية .

وافتح نشوان معجمه بحرف الهمزة وما بعدها من الحروف في المضاعف ، وبدأ بقوله : « الأسماء : فَعْلٌ ؛ بفتح الفاء وسكون العين » وذكر أول كلمة : الأب : المرعى ، ثم الأد : القوة ، ثم يذكر كل كلمة على هذا الوزن من الأسماء . وقد اختصر معجم نشوان بعض العلماء ، ولم نعتد نظامه مدرسة ، لأن أحدا لم يتبع منهجه ، فبقي وقفا عليه .

ولنا كتاب بعنوان « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » طبع بالقاهرة سنة ١٣٧٥ هـ ذكرنا بالتفصيل سمات كل مدرسة ، ولم يرد فيه ذكر نشوان ، وإنما ورد ذكره وذكر معجمه في مقدمة « الصحاح » التي كتبناها لطبعته الثانية التي بدى بها منذ شهرين ، وقد انتهى طبعه ، ويقع في سبعة مجلدات أحدهن المقدمة .

س - لقد حققت بعض المعاجم كالصاحح للإمام الجوهري وبعض كتب اللغة مثل « ليس في كلام العرب » لابن خالويه ، فهل فكرت كلغوى في تأليف معجم ؟

ج - نعم ، لما كنت طالبا بالمعهد العلمي السعودي في أوائل الخمسينات ألفت معجم جيب صغيرا ، لم أطبعه ، ثم ضاع .

وعندما حققت بعض المعجمات ، واطلعت على كل المعجمات القديمة والحديثة المطبوعة ، وعشرات المعجمات المخطوطة رأيت في معجمتا العربية ما هو جدير منا نحن المحدثين بالعناية ، ولا أسمى ما في تلك المعجمات غلطا تأدبا مع أولئك الأئمة الأعلام ، فكثير من الكلمات تفسر بقولهم : معروف ، وهو غير معروف الآن .

وهذا الحديث لا يتسع للتفصيل فيما في المعاجم من نقص .

وعندما وقفت على هذا النقص فكرت في تأليف أكبر معجم لغوي عصري حديث يضم قريبا من مئتي ألف مادة أو أكثر ، ويحوي من المصطلحات القدر الذي يتسع له معجم لغوي .

وهيأت المصادر والمراجع وعشرات الآلاف من الجزازات ، وعزمت عزما بعد التوكل على الله أن استعد للتأليف ، ولما كان هذا التأليف يقتضيني أن أتفرغ سنتين له فقد كتبت للملك الشهيد فيصل رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى ، كتبت رسالة أذكر له فيها نيتي وعزمي على تأليف أكبر معجم لغوي عصري حديث ، وحددت له مدة التأليف بسنتين من يوم البدء فيه ، وأفصحت لجلالته عن منهجي ، وفصلت « الموازنة » وهي ضئيلة ، إذ لا تتجاوز نفقات التأليف مليون ريال ، وطلبت ناسخي آلة ، وثلاثة محررين .

وكان مشروعى يقوم على ثلاثة معاجم :

الأول - المعجم الكبير ، واسمه « الفيصل »

الثاني - معجم وسيط ، ويحوي عشرين ومئة ألف مادة .

الثالث - معجم صغير ، يضم مئة ألف مادة ، يغني عن المنجد .

وبعثت الرسالة إلى الملك الشهيد يوم ٢٦ رمضان سنة ١٣٩٢ هـ وأحالتها إلى معالي وزير المعارف بتاريخ ٣ شوال ١٣٩٢ هـ وأعادها معاليه إلى جلالته بعد بضعة شهور مؤيدا ومكبرا .

وبعد ذلك أحيلت « المعاملة » إلى لجنة من جامعة الرياض مكونة من الأساتذة الدكاترة : أحمد محمد الضبيب ، ومنصور الحازمي ، وأحمد المبارك برئاسة الدكتور عبد

الرحمن الأنصاري - الذي كان حينئذ عميد كلية آداب جامعة الرياض - فاجتمعوا وقرروا - دون علمي - قرارا أثنوا فيه على جهودى فى حقل العربية والمعجمات ، وأيدوا ما اقترحت .

وأعيدت المعاملة الى الديوان الملكي الذي أحالها الى لجنة عليا تضم وزير المالية ووزير المعارف ووزير الحج والأوقاف والدكتور معروف الدواليبى ، فأيدوا مشروعي وأكبروه ورأوا :

أولا : أن قيامي وحدي بتأليف المعجم ثقيل على كاهلى ، ورأوا إضافة اثنين من غير السعوديين .

ثانيا : تأليف نموذج .

ورددت بأن قيامي وحدي غير ثقيل على ، وذكرت أنني بحول الله وقوته ومشيتته قادر على العمل وحدى .

وألفت النموذج . فقد اخترت مادتين هما : أبد . وعرض . وذكرت أن معارضة هاتين المادتين من تأليفى بكل المعجمات المطبوعة وفيها الصحاح والمقاييس والقاموس وتاج العروس وغيرها من المعجمات القديمة والحديثة ليروا بعد المعارضة أن ما كتبت فى المادتين أكثر . ثم طلبت اليهم أن يضيفوا الى المعاجم المطبوعة ما يعرفون من المعاجم المخطوطة كالعين للخليل . والعباب والتكملة للصغاني والمحيط لابن عباد وغيرها من كتب اللغة ليروا أن مادتي أبد وعرض فى النموذج الذى ألفته تحويان أزيد مما فى تلك المعجمات وكتب اللغة المطبوعة والمخطوطة .

وقدمت رأيي والنموذج للجنة الجامعة . ثم رفع كل ذلك الى الملك الشهيد طيب الله ثراه . ثم فقدت « المعاملة » وقد أمر جلالة ديوانه الملكي أن يتصل بى ويطلب الى أن أكتب « تقريراً » عما تم فى المشروع . فكتبت التقرير ورفعته لجلالته . وبعد مدة راجعت الديوان . فقيل لى : إن المعاملة قد أحيلت الى جهة سهاها لى . فراجعتها فلم أجدها لديها .

وعندما قررت إحاطة جلalته علما فوجئ العالم باغتياله . ومات المشروع . وإن

كانت « موازنته » تضم كل سنة الى نفقات جامعة الرياض .
وفي سنة ١٣٩٤ هـ عرض علي من قبل بعض الحكومات الانفاق على المشروع
فلم أوافق . لأنى أردت أن يكون الفخر والمجد للملك فيصل ولبلادي .

ويعسر علي الآن القيام به . لأننى فقدت خلال هذه السنوات كثيرا من بصري
وصحتي . فعندما عرضت على الملك الشهيد مشروعى كانت قوة الإبصار عندى
 $\frac{3}{10}$ والآن $\frac{1}{2}$ وصحتى كانت حسنة . أما الآن فقد أصبت فيها بما أنهكها .
والسبب الذي يحول دون قيامي هذه الأيام بتأليف المعجم أتى مصمم العزم على
تأليف أعظم موسوعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما أود أن يشغلنى عنه
غيره .

س - ما رأيكم فى مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ؟ وما أسباب الخلاف بينهما ، وأى
المدرسة تؤيدون ؟ ولماذا لم تكن هذه الظاهرة فى عصرنا الحاضر ؟

ج - مدرسة البصرة هي السائدة . فالتحوى الذى يُدرّس فى العالم اليوم وقبل اليوم على
مذهب البصريين . وحسب مذهبهم قوة وشيوعا ورسوخا أن يزوي منافسه فى
الكتب . وأن يحل محله فى موطنه الأصيل . ثم إن كل المصطلحات النحوية من
ابتكار البصريين إلا النادر . والقواعد والأصول ثمرة جهد مدرسة البصرة . وما أحد
يجادل فى رجحان آراء البصريين . وصحة قواعدهم . ودقة نظامهم . وتحريمهم فى
الاستقصاء . واعتماد الشواهد . وبنائهم القاعدة على الأعم الأغلب والأفشى .
ونقدتهم للأمثلة والشواهد . وإبائهم اعتماد الشاذ والمثال غير المتكرر واتخاذ الشاذ
والمنحول والضعيف فى بناء القواعد .

وقمتاز قواعد مدرسة البصرة على الإحكام فلا تضعف امام الشاذ والمنحول
والضعيف .

وسمات مدرسة الكوفة - كما أذكر - السماع والرواية والقياس . وتعتمد فى بناء
القواعد على الشاذ والضعيف والمنحول .

واعتماد العلماء في تدريس النحو على مدرسة البصرة دون مدرسة الكوفة شهادة على ضبط قواعد البصريين وصحتها .

وإذا كنت أؤثر مدرسة البصرة مثل غيري فلا أنكر توفيق مدرسة الكوفة في بعض ما ذهبت إليه . مثل إعراب المضارع وإعمال اسم المصدر مثل المصدر .
وأما عدم وجود مدرسة من ابتكار عصرنا الحاضر فسببه أنه لا حاجة إلى قواعد جديدة في النحو . فمسألة القواعد مفروغ منها في عصرنا الحاضر .
لقد انتهى عصر تقعيد القواعد في العلوم المعروفة . وما نقول في الفعل والاسم والحرف والفاعل والجار والمجرور غير ما سبقنا إليه .
لا يمكننا إضافة جديد إلى القواعد . وإن كان في وسعنا أن نتخفف من بعض القيود .

س - الأندية الأدبية ؟

ج - وجود الأندية ضرورة . وبشرى خير . وآية على الصحة . ولكن ثمرات هذه الأندية ليست - حتى الآن - بالثمرات ذوات القيمة الغذائية الفكرية . ولكنها بواكير . وأكثر تلك الثمرات من غراس بعض رؤساء الأندية وأعضائها . وكان عليهم أن يجعلوا لغيرهم نصيبا موفورا . وأقرر أن في بعض ما نشرت الأندية روائع .

ومخصصات الأندية ضئيلة . ولهذا لم يُقدّم ناد على نشر كتاب ذي قيمة من كتب التراث . فكتاب من كتب التراث مثل « ليس في كلام العرب » لابن خالويه . أو « شرح مقصورة ابن دريد » لابن هشام اللخمي يكلف نصف مخصص النادي . ولو أرادت رعاية الشباب أن تعمل في ميدان الثقافة والعلم والأدب أعمالا كبيرة فلتستعد للبذل السخي .

ومعجم « الصحاح » للإمام الجوهري يكلف طبع خمسة آلاف نسخة مع تجليدها أكثر من مليونين ونصف مليون ريال بالمملكة . وفي بيروت يكلف ثلث ذلك المبلغ تقريبا .

وليس في قدرة ناد أو ناديين الإنفاق على نشره .

فلو استعدت رعاية الشباب ووعدت الأندية بالإنفاق على مثل هذه الأمهات
لنشطت الأندية .

وعلى أي حال نقرن الشكوى بشيء من الشكر . والعتاب بالتحية . ونرجو من
الرعاية أن تسخو في البذل من أجل غذاء الفكر ورياضته . وأن تبرهن الأندية على
طموحها بما يحمل الرعاية على الإصغاء لمطالبها .

س - الاستشراق والمستشرقون ؟

ج - ولد الاستشراق لخدمة الاستعمار . ولكن بعض نشاطه كان علميا . وليس به هوى .
فنشر بعض كتب التراث خال منه . وإذا كان أكثر المستشرقين ذوى هوى مشبوب
الضرام فإن ندرة نادرة منهم تنزهوا عنه مثل زترستين الذي حقق جزءا من معجم
« شمس العلوم » لشوان الحميري تحقيقا حسنا خيرا من تحقيق الشيخ عبد
الكريم الجرافي .

وما حققه زترستين طبع في مطبعة بريل بليدن سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) وما
حققه الجرافي طبع في مصر ، وتحقيقه غاية في الرداءة والخطأ . ولا يوثق به . ونقدته في
مجلة « الرسالة » واقترحت إحراقه . وقبل إمام اليمن الأسبق الملك أحمد فأحرقه .
وكلتا الطبعتين لم تحو من « الشمس » إلا جزءا يسيرا .



قواعد العربية صحيحة وسليمة على الإطلاق والنعيم

قرأت في جريدة « الشرق الأوسط » بالعدد ٧١٦ الصادر في يوم الاثنين ١١/٣/١٩٨٠ (١٤٠٠/١٢/٢٥ هـ) كلمة للأستاذ الفاضل أحمد محمد جمال تحت عنوان « حوار لغوي » جاء فيها قوله :

« قرأت للكاتب العربى الكبير الأستاذ أكرم زعيتر فى الشرق الأوسط يوم ١٤/١٠/١٩٨٠ تحت عنوان « حوار مع مصحح متأدب » حديثاً حول الكلمات الصحيحة فى بعض مقالات الأستاذ زعيتر التى ظنها المصحح خطأ فصوابها (كذا) - بزعمه - فكانت تخطئة لصحيح ، وتحريفاً لمستقيم .

« ثم تصدى الأستاذ زعيتر للمعلق الصحفى الرائع الأستاذ جهاد الخازن فى موضوع نحوي آخر وهو قاعدة النسبة إلى المفرد ، وما كتبه الأستاذ الخازن فى زاويته « صباح الخير » من أن كلمة « جماهيرية » خطأ والصواب جمهورية ، وذلك نسبة إلى المفرد كما تعلم فى المدرسة .

« ... حيث قال الأستاذ زعيتر : إن الأستاذ الخازن « قد أخطأ فى تخطيطه لكلمة

« جماهيرية » مؤثرا عليها « جمهورية » مستندا إلى قاعدة نحوية تعللناها في المدارس .
وثبت وهنها وبطلان إطلاقها وهي تحتم النسبة إلى المفرد «
ويقول الأستاذ أحمد جمال :

« وقد أحببت أن أدخل مع الأستاذين الفاضلين في حوارهما العلمي الجميل الجليل
لأقول : إن مع كل منهما بعض الحق . فقد أشار الأستاذ الخازن إلى القاعدة النحوية
(وهي النسبة الى المفرد) ولم يتمها - وقال الأستاذ زعيتر : إن القاعدة ثبت وهنها وبطلان
إطلاقها . ولم يذكر ما اشترطته من استثناء : (النسبة الى الجمع إذا كان علما) كأنصار
ومدائن فيقول في نسبته أنصاري ومدائني الخ »

ويقول الأستاذ أحمد محمد جمال : « وأنا أؤيد الأستاذ الزعيتر في النسبة الى « دول » لا
الى « دولة » في القضايا والمسائل والعلاقات والمصالح والهيئات الدولية (بضم الواو المشددة
مع فتح الواو الخ » .

وفي الجملة الأخيرة خطأ مطبعي وهو « الواو » الأولى . والصواب : الدال . وأبدأ
حواري من هذه الجملة نفسها . فقول الأستاذ : « الدولية (بضم الدال المشددة) ليس
سليما . ولعله منه سبق قلم . لأن الدال ليست مشددة . ولا وجود لشدة في هذه الكلمة .
ويستحيل في العربية مجيء كلمة مبدوءة بحرف مشدد . لأن الحرف المشدد حرفان : أولها
ساكن مثل : عظم بتشديد الظاء المفتوحة . فالطاء الأولى ساكنة . ولا وجود في العربية
لكلمة حرفها الأول ساكن .

وما يظن أنه شدة ليست بشدة . وإنما الحرف الساكن الأول هو اللام الشمسية التي
تدغم في الحرف الذي يليها .

ولا يغيب عن الأستاذ أحمد جمال أنه يقال في الدول : بضم الدال وفتح الواو جمعا
لدولة . ولا يمكن أن يقال : بضم الدال المشددة .

وأما « الجماهيرية » فشاذا وعلى غير القياس . وإذا جاز أن ينسب الى الجمع شذوذا أو
في حالات نادرة فإن تسمية الدولة الليبية « الجماهيرية » تدعو الى السؤال والاستغراب .
لأنها لا تخلو من النبوءة وفساد الذوق والخروج على القاعدة .

ومسألة النسبة من أبواب علم الصرف لا النحو . وقاعدة النسبة سليمة صحيحة قوية .
وعجيب من الأستاذ أكرم زعيتر المعروف بغيرته على الفصحى أن يزعم قائلا : ... قاعدة
نحوية تعلمناها في المدارس وثبت وهنها وبطلان إطلاقها وهي تحتم النسبة الى المفرد «
وقاعدة رد الجموع الى أحادها في النسبة قاعدة مطردة ، وما فات فقهاء العربية ما جاء
سماعا مما يعد شاذا أو على غير القياس فأشاروا الى ذلك .
وعندما توضع القواعد لا توضع إلا بعد حصر الشواهد وتغليب المطرد على الشذوذ ،
والكثرة على النُدْرَى ، والراجع على المرجوح .

أما إذا تساوى المطرد والشاذ والأعم والنادر فما ثم ضرورة إلى القواعد التي يراد منها
الضبط والإحكام .

وزعم الأستاذ زعيتر : ثبوت وهن القاعدة مردود وغير صحيح . كما أن زعم بطلان
الإطلاق مردود أيضا .

فقاعدة النسبة في علم الصرف من أدق القواعد وأضبطها . وهي سليمة وصحيحة وقوية
على الإطلاق والتعميم ، وورود عشرات من الكلمات خارجة على القاعدة لا يصيبها
بالتضعضع ولا تتهم بسبب ورودها بالوهن . لأن القاعدة تبني على الأعم والأغلب
والمطرد والكثرة .

ولم يغفل الذين وضعوا القواعد عما ورد مما يخالفها . بل ذكروا ما شذ وخرج على
القياس أو عن القاعدة رغبة منهم في المزيد من الضبط والإحكام^(١)

(١) نشرت في جريدة « الشرق الأوسط » .

الأدب الشعبي

يقصدون بالأدب الشعبي ما كانت لغته عامية ، وفيه الأمثال والشعر ، وقل فيه النثر ، وكل ألوان الأدب الشعبي غير مدونة إلا القليل ، وهذا من حظ الفصحى حتى لا تزاحمها العامية .

أما الأمثال في العامية فنادر الاستشهاد بها في الكلام بعد أن كان قبل ثلاثين عاما كثيرا ، فما كان الكلام يخلو منه ، وكان المتكلمون مولعين بذكر الأمثال يؤكدون بها أقوالهم . أما في هذه الأيام فقد خلا كلام الناس في عالمنا العربي من الأمثال خلوا تاما ، وبذلك مات هذا اللون من الأدب الشعبي .

أما النثر العامي فلا يحفظ لا في الذاكرة ولا في الورق إلا فيما ندر ، وذلك في التمثيليات المكتوبة بالعامية .

وأدب التمثيل في اللغة العربية نادر ، وهو في العامية أندر .

ولم يبق إلا الشعر ، وهو أكثر فنون الأدب الشعبي ، وهو في بلادنا السعودية مقصور المعرفة على البادية ، أما الحضر فلا يستسيغونه ، وندر منهم من يسمعه ، وأنا لا أسيغه ولا أسمعه ، ولا أشجعه .

والأغاني التي ينظمها بالعامية شعراؤها من الحضر في العالم العربي شبيه بشعر البادية في الخروج على قواعد الإعراب ، ومع ذلك فالحضر يسمعون الأغاني ويطربون لها . ولكنهم لا يسمعون شعر البادية المسمى في بلادنا « الشعر النبطي » وفي مصر ولبنان « الزجل »

ولا يخلو الغناء العامي أو الزجل من الجمال والفن ، فمنه ما بلغ في صدق الشعور والتعبير الذروة . وفي بعض الشعر العامي المغنى به صور رائعة آية في الجمال ، وقيمة تعبيرية ثقيلة في ميزان الفن .

وأنا أحارب العامية ولا أقبل أن تزاحم الفصحى ، ولكنى اغض الطرف في الغناء اذا حسن التعبير وحسن الأداء . وفي غير الغناء لا أستسيغه ولا أتجاوز عنه .

وكل ما يكتب بالعامية من قصص وتمثيلات لا يجذب منى اهتماما ، بل أزدريه وانصرف عنه ، فاذا كتب بالعامية السعودية مقتته ، واذا كتب بعامية لبنان - وبخاصة بعامية زحلة - لا أفهمه . ولذلك لا أقرؤه . وكذلك كل ما يكتب بعامية الشام والعراق . وكنت قبل خمس وأربعين سنة أقرأ في مجلة « الفكاهة » المصرية بعض ما ينشر فيها من القصص والتمثيلات والمقالات لمجرد التسلية والعلم ، وكانت قراءتى هذه حيناً كنت مبتدئاً في الأدب ، ولم تدم معاشرتى لهذا اللون إلا سنة ثم انصرفت عنه الى الفصحى انصرافاً تاماً .

وليس في خزانة كتيبى التى كانت تحوى حوالى ثلاثين ألف كتاب غير كتب معدودات باللغة العامية وأما فى هذه الأيام فقد خلت منها إلا ما كان منشوراً من الأغاني فى بعض الصحف والمجلات ، وبعض الدواوين التى أهديت إلى مما يحوى هذا اللون من الشعر البدوي الذى لا أهواه ولا يعجبنى .

وأنا لا أشجع المأثورات الشعبية (الفولكلور) ولا أسمعها ولا أشهد رقصاتها على الشاشة إلا نادراً .

والشيء الوحيد الذى احتفظ به فى خزانة كتيبى مما كتب بالعامية كتب الأمثال ، فهى وحدها من الأدب الشعبى التى تجد مكاناً فى الخزانة ، وأحتفظ بها للدراسة والمقارنة والموازنة بين عاميات الأقطار العربية فى باب الأمثال واختلاف اللهجات .

وأشهد تغيراً كبيراً في لغة العامة في بلادنا ، فقد حسنت لغة التخاطب فيما بينهم . وماتت مئات الألفاظ التي كانت تستعمل منذ أربعين سنة أو أكثر ، حتى أن كلمات لم تطرق سمعى منذ خمسين عاماً سمعتها من ممثلة مصرية في « مسلسل » بالتلفزيون السعودي .

فارتقاء العامية في بلادنا وفي العالم العربي بسبب شيوع التعليم ووسائل الإعلام يوحى بأنها ستتطور وستقترب إلى الفصحى . ولكن لن تبلغها ، لأنه لا مفر من وجود فارق أو فوارق بين لغة الخطاب ولغة الكتاب .



دعاوى تفصح عن بطلانها

دعوى نفي صلاح العربية للحياة ولهذا العصر يعلنها أعداء الفصحى دون بينة . فإذا طولبوا بها قدموا دعاوى هي في حاجة الى برهان وبيانات .

فهذا سلامة موسى أحد أقطاب الدعوة الى العامية ومن أئمة أعداء الاسلام والقرآن كان في كل حياته يحارب الفصحى حربا لا هوادة فيها . وما ترك فرصة تبدو له إلا انتهزها لضرب لغة القرآن . وإطلاق الدعاوى دون بينات . ومن دعاواه التي يرددها وما يظنه براهين قوله في مقال له نشرته مجلة الهلال في أحد أعدادها الصادرة سنة ١٩٢٧ م (١٣٤٥ هـ) :

« والهم الكبير الذى يشغل بال السيد ولكوكس بل يقلقه هو هذه اللغة التى نكتبها ولا نتكلمها . فهو يرغب فى أن نهجرها ونعود الى لغتنا العامية فنؤلف فيها وندون بها آدابنا وعلومنا » .

وهذه الجملة من سلامة موسى وولكوكس تفصح علانية عن حقدهما على الفصحى . فهما لا يرغبان إلا فى هجرها واحلال أي لغة محلها . ويدعوان الى التأليف بالعامية وتدوين العلم والأدب بها .

ونحن نقول لها ولمن يدعون دعوتها من أمثال سعيد عقل ولويس عوض : هيا ألفوا بالعامية ودونوا بها آدابكم وعلومكم .

إنهم يدعوننا نحن العرب المسلمين إلى هجر لغة ديننا وكتاب الله ، أما هم فلا يتخذون غير الفصحى ، لأنهم مدركون أن العامية لا يمكن أن تكون لغة الآداب والعلوم والفنون بحال من الأحوال .

ويسرف سلامة موسى في الكفر بالفصحى حتى أنه لا يرضى بأن تكون العامية المصرية ذات أصل عربي ، وإنما ينكر عروبتها إنكارا شديدا ويقول في مقاله نفسه المنشور بالهلال :

« وقد خطب (ولكوكس) منذ أشهر خطبة عن هذه اللغة جمع فيها اختبارات عنها ، وارتأى فيها أن هذه العامية التي نتكلمها في مصر ليس لها علاقة بالعربية الفصحى ، فكل منها لغة متميزة عن الأخرى . ونحن لم نكتسبها عن العرب ، وإنما نزلت إلينا من الهكسوس الذين أقاموا في مصر نحو ٥٠٠ سنة . وإن طريقة النفي المزدوج حين نقول : « أنا ما عملتش » هي طريقة لا يعرفها العرب وإنما جاءتنا من الهكسوس الذين انتشرت لغتهم في أقطار عديدة حول مصر حتى بلغت مالطة . وهذه اللغة تعبر الآن عن مزاجنا ونقوم بالمعاني التي تختلج في أذهاننا ، أما اللغة الفصحى فهي « الهير وغليفية » التي يترجم كتابنا وطلبنا إليها خواطرهم وأفكارهم كما ينقلونها أحيانا إلى الإنجليزية أو الفرنسية ، ويرطنون بالفاظها المحفوظة من الكتب » .

هذه دعاوى سلامة موسى وكل الدعاة إلى العامية التي يريدون إحلالها محل العربية الفصحى . ولا يريدون إحلالها لأنها في أصولها وكلماتها وتركيبها من الفصحى ، بل لأنها كما يزعم سلامة موسى لغة نزلت إلى مصر من الهكسوس الذين سبقوا العرب المسلمين إلى مصر ، فالعامية الدارجة في مصر في هذا العصر لا صلة لها بالعربية وإنما هي لغة الهكسوس .

والدليل الذي قدمه سلامة موسى هو ما يحسبه النفي المزدوج في قوله : « أنا ما

عملتش « وأداة النفي الأولى هي ما في « ما عملتش » والازدواج هو الشين في « عملتش »
كما فهم سلامة موسى .

وهذا جهل من سلامة موسى . فليس في العبارة نفي مزدوج . ولم تنزل الى مصر من
الهكسوس . بل الجملة منسوبة إلى العربية . وكل كلماتها عربية . فالضمير « أنا » عربية
أصيلة . وكذلك « ما » النافية . و« عملت » عربية صحيحة . وهي جملة مكونة من فعل
وفاعل ، والفاعل تاء الضمير . وأما الشين التي ظنها من النفي المزدوج ليست كما ظن . فهي
مقطوعة من كلمة « شيء » وأصل العبارة : أنا ما عملت شيئاً . فلما انتقلت من الفصحى
إلى العامية صارت « أنا ما عملت شيء » ثم لما انتقلت الى عامية مصر صارت « أنا ما
عملتش » ويقاس على هذا كل فعل اقترن بتاء الفاعل التي انقطعت خلفها الشين من
« شئ » وصارت ذيلًا لها .

ولا دخل للهكسوس في العبارة . كما أن لهجة مصر العامية لا صلة لها بالبتة بلغة
الهكسوس . وإنما هي في أصلها عربية محرفة .

وإذا كان نزول الهكسوس إلى مصر جعل سلامة موسى يدعى تلك الدعوى فما قوله في
عامية الحجاز . بل عامية نجد المتفقة مع عامية مصر في الكلمات والحروف وبناء الجمل ؟
أيرى الهكسوس جاءوا إلى الحجاز ونجد ؟ .

إنها دعاوى مردودة إلى مدعيها . وكل ما يريد هو هجر الفصحى حتى تموت كما ظن .
فإذا هو الميث المهجور ومثله من زعموا زعماته .

إن عامية الحجاز تقول : أَنَا مَا عَمَلْتُ شَيْءٌ . ومثلها عامية مصر التي اكتفت بالشين
من « شئ » بعد نقل السكون من الياء إلى الشين .

صعوبة الفصحى

..كثر القول فى صعوبة الفصحى كثرة لوجع الورق الذى كتب فيه هذا الاتهام لرأينا جبالا شاهقة تشغل مساحات شاسعة ، ومن كثرة ترداد صيحات الصعوبة اعتقد كثير من أساتيد العربية والمشتغلين بها تعليما وتدريسا فى كل مراحل التعليم ومن كبار الكتاب أنها صعبة حقيقة .

وبعد أن أوحى مدعو صعوبة اللغة العربية انتقلوا الى مرحلة أخرى من الدعوة والادعاء ، ونادوا بجهارة استبدال العامية بالفصحى . وزعموا أن العربية شديدة الصعوبة . بل زعموا أنها صعبة أصعب من أي لغة ومن أي علم . وزعموا أن معرفة قواعدها بلغت من العسر ما لا يطاق .

وكل ما زعموه افتراء على العربية ، فقواعدها ليست أعسر من كثير من اللغات الإنجليزية والألمانية . بل نجد قواعدها أسهل من غيرها . وليست العربية أصعب من عشرات العلوم المعروفة كالفيزياء والتكنولوجيا ومختلف صنوف الهندسة والجبر والرياضيات والطب .

وإذا سائرنا المفترين على العربية واعترفنا بصعوبتها فما الحل ؟ وماذا يريدون أن نعمل

معها ؟ هم يريدون هجرها وأن نستبدل بها لغة أخرى . وقد صرح بذلك خصومها من أولئك المستشرقين والصليبيين من أوريين وعرب في مصر ولبنان . وهل يترك علم لصعوبته ؟ أو تهجر لغة لصعوبتها ؟ كلا . وإلا لكان كثير من المستشرقين الذين تعلموا العربية واجادوها أول من يلامون اعنف اللوم على أنهم ينهون عما عملوا . ولوجب أن يترك الانجليز لغتهم . وتترك كل العلوم . فما من علم خلا من الصعوبة . وبعض العلوم أصعب من جميع اللغات . ومع ذلك لم ينهض في العالم دعاة يحملون عليها . ويدعون إلى هجرها .

ومن مغالطات الدعاة وبهتانهم قصرهم الدعوة على العربية دون غيرها من اللغات : فهم لم يدعوا إلى هجر الروسية والصينية واليابانية . وإنما يسرفون إسرافا لا حيلة في التجنى على العربية . والدعوة إلى هجرها . مع أنها أجمل اللغات طرا . وتفرد يونها جميعا بأن كل كلمة فيها موزونة وزنا . وبذلك كانت الموسيقى من خصائصها . ومع جمالها الفريد خلت من العقد والصعوبات .

فقواعدها محدودة وسهلة . فالكلمة في العربية ذات ضروب ثلاثة : اسم وفعل وحرف . والحروف تحفظ لقلّة عددها . ونطقها في جميع الأحوال واحد إلا بضعة أحرف يعتورها التغيير اليسير . مثل : على وإلى . تنطقان عليها واليها وعليهم وعليهن واليهن وإليهم . كل ما حدث أن حرف العلة انقلبت ياء عندما اتصل بها الضمير .

والاسم له ثلاث حالات : الرفع والنصب والجر . الجر في حالتين اثنتين : إذا اتصل به حرف جر أو أضيف .

وللرفع ست حالات . وللنصب إحدى عشرة

هذا كل تغيير في الاسم . وليس العلم بهذه القواعد صعبا . إنه أسهل من قواعد اللغة الألمانية وكل لغات أوربا .

والعلم بقواعد الفعل وأقسامه ليس صعبا . ولا يوصف بالصعوبة بل العلم بها سهل . ونحن قد تعلمنا كل قواعد العربية نحوا في السنة الأولى الابتدائية . ومع ان تعلمي إياها مضى عليه حوالى نصف قرن فما يزال في ذاكرتي حتى اليوم .

وجاءت الصعوبة في تعلم النحو من أعداء الفصحى عندما غيروا منهج تعليمها . وأوحوا إلى من كان بيدهم أمر التعليم من العرب بمنهجهم فأجبروا كل التلاميذ العرب في كل أقطارهم أن يسيروا عليه فعقم التعليم لعقم المنهج . وتفقدنا بين أبناء هذا المنهج من يحسنون العربية فافتقدناهم . وهناك سبب آخر لضعف التلامذة يضاف إلى سوء المنهج وعقمه . ألا وهو ضعف معلمى العربية على الإطلاق والتعميم ضعفا شديدا .

بل انتهى الضعف الى أساتيد الجامعات . حتى أن عالما يحمل بضع شهادات عالية . يلقى في إحدى الإذاعات العربية حديثا في شرح صحيح الإمام البخاري يخطئ كثيرا في قواعد العربية نحو وصرفا . والحديث ليس من إنشائه . وإنما يمسح « فتح البارى » .

والحق . لا تتهم العربية بصعوبة قواعدما التى تعصم اللسان من الخطأ . وما أيسرها وما أسهل العلم بها إذا كان من يعلمها مثل أساتيدنا علما وخلقا وأمانة .

ومن المفارقات العجيبة أن أبناء العالم العربى الذين يتعلمون قواعد العربية على المنهج الحديث ضعاف فيها . أما أبناء غير العرب الذين يتعلمون تلك القواعد على المنهج السلفي يحسنون تعلمها وفهمها . ومصدق ذلك مثل يضرب بطلاب ندوة العلماء في لكنو بالهند . فهم يحسنون العربية خيرا من طلاب الجامعات العربية . والسبب نجابة المنهج وإخلاص المدرسين .



الفصحى لاتصلح لأن تكون لغة الحياة

أعداء الاسلام والقرآن ولغتهما الفصحى من أجهل الجاهلين بحقيقة الفصحى وعظمتها واتساعها للحياة ، ووفائها بحاجات هذا العصر وكل عصر ، وصلاحها للحياة فيما مضى من الزمان وفي المستقبل والحاضر .

والذين يزعمون أن العربية لغة ميتة ، وغير صالحة لأن تكون لغة الحضارة والآداب والعلوم والفنون هم أعداء ، فلا غرابة أن يحاربوها ويقذفوها بشر التهم ، ويخترعوا عليها كل باطل ، ويلصقوا بها كل نقيصة ، ويلفقوا عليها كل ما هي براء منه .

وماذا ينتظر العدو من عدوه الأثيم غير التجنى والأذى والباطل وكل ضروب الشر ؟ إذن ، لا غرابة من أعداء الفصحى أن يحاربوها ، وإنما الغرابة أن يشترك معهم في عداء العربية والحقد عليها عرب ، وبعضهم عرب مسلمون ادعوا على العربية ما ادعاه خصومها من الصليبيين والصهيونيين والشيوعيين .

وأي مسلم يشارك الأعداء في دعوى عدم صلاح العربية لهذا العصر ، وأنها لغة ميتة لا تصلح لهذا العصر يعد مرتدا عن الاسلام ، لأن هذه الدعوى الباطلة كفر بواح ، إذ تشمل القرآن الكريم .

وليس بمسلم من يزعم أن القرآن غير صالح للحياة ولهذا العصر . لأن القرآن صالح لكل زمان ومكان . ولن يجوز على كلام الله الموت .

والصليبيون واليهود الذين يدعون على العربية هذه الدعاوى . ويتجنون على القرآن ويفترون على الله الكذب إذ يزعمون عدم صلاح القرآن لهذا العصر . وسبب زعمهم هذا أنه مكتوب بالفصحى . وأنه كتاب الإسلام .

وقلت لبعض هؤلاء الأعداء : أترى القرآن يصلح لهذا العصر إذا جعلناه بالعامية ؟ فقال سلامة موسى : نعم يصلح .

قلت له : إنك نشرت منذ أربعين سنة - وكان الحديث بيني وبينه منذ ثلاثين سنة - أن ولكوكس أعلن عن مسابقة مكافأتها أربعة جنيهات لمن يكتب بحثا علميا باللغة العامية . ولم يتقدم أحد . وأنا أعطيك أربعمئة جنيه إذا ترجمت مؤلفك « نظرية التطور وأصل الإنسان » إلى العامية من الفصحى . فبهت وعجز .

فقلت له : إذا كنت أنت صاحب الدعوة إلى اتخاذ العامية بدل الفصحى عجزت ولم تتخذ العامية لغة دعوتك إلى استعمالها . وعجزت عن إعادة كتابة مؤلفك بالعامية ؟ أترى في إمكان بشر أن يحيل صياغة القرآن من الفصحى إلى العامية ؟ أنا أجيبك : هذا مستحيل .

ومقصد سلامة موسى وكل أعداء الاسلام القضاء على الفصحى حتى يباعدوا بين كتاب الله والمسلمين .

ومع أن الأمية غالبية على العرب فإن الفصحى ما تزال لديهم اللغة المقدسة لأنها لغة القرآن التي يفهمونها . وما هم بحاجة إلى العامية حتى يفهموا ما يلقي عليهم بالفصحى . فهم يفهمون من القرآن والحديث ما يسهل عليهم فهمه . ويفهمون خطب الجمعة وتفسير القرآن وشرح الحديث بالفصحى التي لم تكن مغلقة على العربي الأمي .

وأخذ العامة الأميون يقتربون من المتعلمين بسبب وسائل الإعلام : الإذاعة ، والتلفزيون . ووجدنا أثر هذا الاقتراب في لغتهم التي ابتعدت عن الركاقة والإسفاف . ونشأت لغة حسنة بين العامية والفصحى .

والشيء الوحيد الذى بقي على حاله فى العامة هو البعد عن الإعراب ، وأكبر العلماء فى العربية يتفقون مع الأميين فى البعد عن الإعراب فى لغة الخطاب ، ولا يلتزمونه إلا فى الكتاب .

وموجز القول : إن الفصحى أصلح لعصرنا الحديث من بضعة العصور التى سبقته . لأن وسائل الإعلام الحديثة منحت العامة والأميين ثقافة واسعة فاقت ثقافة كثير من علماء من سبقوهم بقرنين أو بضعة قرون .



لماذا الاتصّل بالفصحى ؟

لا يقدم أعداء الفصحى بين يدي دعواهم أن الفصحى غير صالحة لهذا العصر . وغير صالحة لأن تكون لغة الكتابة والعلم والأدب أي دليل . وإنما يقدمون بين دعواهم بعدم الصلاح دعاوى . ولا يقدمون بينات لإثبات دعاواهم .

ومن قادة الدعاة إلى هجر الفصحى واتخاذ العامية ولهم سيبئا وكارل فلرس - وكلاهما ألماني^(١) - ووليم ولكوكس^(٢) الإنجليزى . وسلامة موسى المصرى القبطي . وكلهم خصم العربية . لأنها لغة القرآن والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام . ولولم تكن العربية كذلك لما خاصموها وحقدوا عليها .

خاصموها لأنها لغة القرآن وليس غير . لم يخاصموها لصعوبة فيها أو صعوبة في كتابتها . إذ لو كانت الخصومة بسبب الصعوبة لخاصمو اللغة الصينية . واللغة الروسية . بل لوجب عليهم أن يخاصمو الإنجليزية والألمانية وغيرها من اللغات التى هى أصعب من العربية .

(١) ولد فلرس سنة ١٨٥٧ م وهلك سنة ١٩٠٩ م .

(٢) إنجليزى ولد بالهند سنة ١٨٥٢ م وهلك بمصر سنة ١٩٣٢ م .

إذن ، ليست خصومة العربية لصعوبة فيها وإنما لأن الاسلام اتخذها لغته ، فنزل القرآن بالعربية . وكانت لغة رسول الاسلام العربية . فهم يعادونها لأنها لغة الاسلام . وهم أعدى أعداء هذا الدين .

وطبيعي أن تكون بينهم وبين الاسلام هذه العداوة التي لا يمكن أن تزول أو تخف ، تلك هي العداوة بين الإيمان والكفر ، بين التوحيد والوثنية . بين الفضيلة والرذيلة . بين الحق والباطل .

واتفقت كلمة أقوى دول الأرض ممثلة في الاستعمار لضرب الإسلام حتى زووه في الصدور ، فلم يعد يحكم به باستثناء المملكة العربية السعودية . وكانت سيادة الأرض لأوروبا التي زوت الاسلام وجردت أهله من كل قوة . ونهبت ثرواتهم وخيرات بلادهم . وتحكمت فيهم وفي بلدانهم وفي كل شيء لهم . وأخذت تعمل لتشكيكهم في دينهم . وأعلنت الحرب على لغة القرآن فعجزوا وأخفقوا . ودوت لغة القرآن في مئات الملايين من بيوت المسلمين . وملايين المساجد في الأرض ليل نهار .

ومن معجزات القرآن وكرامة لغته العربية نهوض الأعاجم إلى حماية الفصحى وتغليبها على لغتهم حتى سادت وبقيت مذكورة ليل نهار على كل لسان من السنة المسلمين الذين يقرأون في صلواتهم كل يوم وليلة خمس مرات القرآن العربي . وينطقون عشرات المرات كل يوم وليلة بالشهادة باللغة العربية . وكذلك يقيمون الصلاة وتكبيرة الإحرام بالعربية .

وكلما أسرف أعداء الاسلام في محاربة لغته الفصحى زادت انتشارا وألقا وسيادة حتى حيرت الأعداء . وأخفقت كل محاولاتهم . وانهزموا في ميادينهم التي اختاروها هم لحرب لغة القرآن والاسلام .

وفي الوقت الذي يحاربها أعداؤها ليزووها وينصحون أهلها ليركوها نجد أبناء أجناس الأعداء يتعلمونها . ونجد جامعاتهم تعنى بها وبعلموها وفنونها . وتلك هي كرامة لغة القرآن التي ترد على دعواهم وتثبت أنها صالحة للحياة ولهذا العصر . وتثبت لهم بأعمال أبناء أوطانهم وأجناسهم ومن قبل جامعاتهم أنها اللغة الصالحة لهذا العصر وكل عصر . بل أهل

الأعداء هم الذين يقدمون الدليل تلو الدليل على صلاح الفصحى .
وعندما يدعى أعداؤها عليها عدم الصلاح لا يقدمون بين يدي دعواهم أي دليل ، وإنما
يريدون إثبات دعواهم هذه بدعاوى لا تخرج عما ادعوا زورا وبهتانا ، وما قدموا لاثباتها
برهاننا ، وإنما خرج من أوطانهم وأهليهم وأصلاهم من قدموا البراهين على صلاح العربية
للحياة ولهذا العصر وكل عصر .



هل العربية فاصرة ؟

يتهم أعداء الاسلام لغته الفصحى بأنها لغة بداءة لا تصلح لأن تكون لغة الحضارة . وزعموا أنها قاصرة لا تستوعب ما جدّ من العلوم والفنون وألفاظ الحضارة !.

وكل هذه التهم التي اتهموا بها الفصحى تهم باطلة . فالعربية لم تضق في ماضيها عن كل جديد . بل استقبلته واتسعت لكل ما وفد اليها أو لكل ما كانت في حاجة إليه .

فمنذ العصر الجاهلي نجد في لغته العالية مئات الكلمات الدخيلة العربية استقبلته بترحاب . وأخضعته لذوقها ونظامها وقانونها . حتى القرآن الكريم حجة العربية حوى عشرات من الكلمات المعربة . وكذلك أحاديث رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام .

فاذا لم يضق عرب الجاهلية وهم الألىَ محتجّ بلغتهم بالمعربات وأدخلوها في صميم لغتهم فذلك دليل مرونة العربية . وهي مرونة أصيلة فيها . ولكن . ليس معنى المرونة أن تفقد اللغة شخصيتها وسماتها . وإنما اتساعها للجديد .

والإسلام لم يحرم في مجال اللغة أي جديد يحتاج إليه أهلها . بل أحل ذلك بدليل وجود عشرات الكلمات المعربة في كتاب الله ومثاتها في الحديث الشريف ولغة عصر الصحابة الكرام .

والإسلام نفسه أعظم دليل على مرونة العربية وسعتها . فقد جاء بكل جديد على العرب وعلى العالم . بل هو نفسه جديد في كل شيء .

نزل القرآن بلغة العرب فكرمها ورفع من شأنها وأمدّها بحياة خالدة . ووهب لها الصحة الدائمة . ونفى عنها كل سقم . وعصمها من كل داء . ومنه العقم . وكانت لغة رسول الإسلام وخير الخلق طرا وخاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام العربية فأكسبها قوة متجددة تضاف إلى قوتها الذاتية التي تضخمت بالإسلام نفسه الذي جاء في الدين والعقيدة والشرعية والاجتماع والإنسانية والعلوم والتجارة والاقتصاد والسياسة وغير ذلك بجديد كثير استوعبته العربية .

ثم أخذت الدعوة الإسلامية تنتشر حتى دخلت فيها أمم بلغت في الحضارة والمدنية والعلوم والحكمة والفلسفة أرقى الذرى . وكانت لغات تلك الأمم متسعة لكل حضاراتها وعلومها وفنونها . ولكنها استبدلت بها لغة الإسلام العربية وآثرتها على لغاتها . واتخذت العربية لغتها وجعلوها لغة الكتابة والعلم .

ومع أن العربية واجهت حضارات وعلومًا جديدة فإنها لم تضيق بها ولم تجمد . بل استوعبتها ووسعت كل ما جدَّ عليها .

وفي العصر العباسي وسعت العربية الطب والهندسة والكيمياء والرياضيات وعلومًا ابتكرها العرب المسلمون كالنحو والصرف والعروض وعشرات العلوم الحديثة وآلاف المصطلحات . ولم تضيق عن ترجمة علوم اليونان . فقد ترجمت إلى العربية من اليونانية علوم اليونان وفلسفتها كما ترجمت علوم فارس والهند وحكمتها .

وفي العصر الحديث تُرجمت إلى العربية آلاف الكتب من كثير من اللغات وأثبتت وفاءها لحاجات هذا العصر وكل عصر .

وإذا كانت العربية لم تستطع بعد أن تجد لآلاف المسميات الحديثة أسماء فما ذلك بسبب نقص في العربية ، وإنما التبعة على الناطقين بها . فأهل اللغة هم المسؤولون عن اتساعها وضيقها وقوتها وضعفها .

والعربية تحوى من الخصائص والقوى والمرونة والمزايا ما يجعلها قادرة على استيعاب كل

جديد . ومستطبعة أن تجد لكل اسم مُسمى . فالاشتقاق والنحت والترجمة والتعريب والوضع من خصائص العربية التي تضمن لها اطراد النجاح ودوام التوفيق كما تضمن لها البقاء .

والعربية على استعداد دائم وأهبة حاضرة لكل ما يطلب منها . وما كانت الانجليزية بأعظم قوة وأكثر حيوية ومرونة ومزايا وخصائص من العربية . بل العربية ترجح عليها في الخصائص والمزايا .

وعلى الناطقين بها تبعة الانتفاع بمواهب هذه اللغة العظيمة الجليلة ومزاياها وخصائصها . فهي أجابت سائلها ووفت بكل مطالب أهلها في عصور السيادة والتقدم ، وهي في جميع عصورها وبخاصة في هذا العصر قادرة وقوية ووفية إذا اتصف أهلها بالقدرة والقوة ، وكانوا راغبين حقا في أن يجعلوا لغتهم صالحة لكل زمان صلاح دينهم لكل زمان ومكان .



استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي

دعوات هدم اللغة العربية الفصحى كثيرة ، وقد أخفقت جميعها . وماتت وهلك معها أصحابها . وكلها سواء في الخطر . والمقصود منها جميعا محو القرآن الكريم الذى حفظ الإسلام والمسلمين .

إن أعداء الإسلام من الصليبيين وغيرهم مدركون حق الإدراك أن وجود القرآن عاصم من الزوال . وما دام موجودا فما يستطيع أعداء الاسلام أن يقضوا عليه أو أن يستعبدوا المسلمين .

ولا شك أن وجود القرآن يحمى الإنسانية كلها من غرقها في الموبقات والوثنية والجاهلية . ولولا لعم الفساد العالم كله حتى لا يبقى على ظهر الأرض موحد حق .

ويقض القرآن مضجع كل مذاهب الهدم من رأسمالية وصهيونية وشيوعية ، كما يقض مضاجع كل المفسدين وفي طليعتهم أعداء الاسلام . فهم ما يفتأون يبتكرون دعوات الهدم ولا يفكرون .

ولما كانت العربية لغة القرآن والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام فإن الحرب على الفصحى لا تنتهى مادامت الفصحى ومادام القرآن والاسلام . ومن أخطر دعوات الهدم

التي انبثقت عن عقولهم الشريرة استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي الذي وجهوا إليه قذائفهم .

زعموا أن الحرف العربي معقد وأنه سبب تأخر الأدب العربي ومجوده . وقال أحد أئمة الدعاة إلى العامية وهو (وهلم سبيتا) الألمانى :

« كل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة » .

ويقول : « وطريقة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا . وبالتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور » .

وكل الصليبيين من أمثال « سبيتا » اخترعوا تهما وجهوها إلى الحرف العربي ، ولفقوا عليه معائب حتى ادعوا أن كتابتها صعبة .

وانتهوا من قذائفهم إلى التصريح بما تكنه نفوسهم فأعلنوا ضرورة هجر الحرف العربي وإحلال الحرف اللاتيني محله .

دعا هذه الدعوة صراحة سلامة موسى القبطي المتطرف وسعيد عقل الماروني المتعصب وفلرس الألمانى وأنيس فريجة المسيحي الماروني اللبناني ومن لف لفهم من الصليبيين .

وبرز من العرب المسلمين عالم ضليع هو عبد العزيز فهمى باشا المصري المسلم وحمل لواء هذه الدعوة عن أصحابها ودخل بها المجمع اللغوي لأنه كان عضوا به . واقترح إلغاء الحرف العربي وإحلال الحرف اللاتينى محله . وأعد بحثا وقفه على اقتراحه وألقاه في جلستين عقدتا يوم ٢٤ ويوم ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ م وتجنّى على الحرف العربي وحمل عليه حملة شعواء . ومجّد الحرف اللاتيني ، وأثنى على مصطفى كمال ثناء كثيرا بسبب محوه من تركيا المسلمة الحرف العربي واستبدال الحرف اللاتيني به .

ولم يوافق أحد من أعضاء المجمع على دعوته الشاذة المقيتة . وتصدى للرد عليها وتفنيد أباطيلها المجمعون داخل المجمع . ومن أعظم من هدموا على رأسه دعوته الأستاذ العقاد

رحمه الله . كما انبرى بعض ذوى الغيرة خارج المجمع حتى كان يومُ ظهور الدعوة على لسان عبد العزيز فهمى هو يوم موتها .

ولكن أعداء الفصحى فى لبنان ومصر حملوا لواء الدعوة إلى اتخاذ الحرف اللاتينى بدل الحرف العربى . وانبعثت الدعوة قوية صارخة من سعيد عقل الذى هاجم لغة القرآن هجوما عنيفا . وحمل على الحرف العربى حملة غاية فى العنف . فانبرت الأقلام العربية المسلمة للرد على ذلك الداعية الكفور . واشتركت أجهزة الإعلام السعودية من صحافة وإذاعة فى الرد .

ومقصد هؤلاء الدعاة من دعوتهم هو صرف الأجيال القادمة عن القرآن والحديث وعن كل ما هو مكتوب بالخط العربى . وعندئذ تفقد عزتها وكرامتها . وينمحي الشعور بجلال القرآن كما تمحى معجزته .

وإذا تحقق المستحيل - وهو غير متحقق - فإن تلك الأجيال تحتاج إلى ترجمة ما خُطَّ بالحرف العربى . وفى ذلك عناء وإنفاق لجهود وأموال لا تحصى .

وإذا أريدت ترجمة واحد فى الألف مما كتب بالعربية لاحتيج إلى عشرات الآلاف من أبرع المترجمين . وإلى أموال ترجح ألف مرة بميزانية الولايات المتحدة الأمريكية .

ونختم بحثنا هذا بأن نقول للدعاة : اكتبوا مقالاتكم وكتبكم أنتم بالحروف اللاتينية ، فذلك أقسى عقاب لهم . لأن أحدا حتى من أولادهم لن يقرأ ما يكتبون بالحروف اللاتينية .



لماذا نستبدل العامية بالفصحى ؟

لماذا نستبدل العامية بالفصحى ؟

يجيب الدعاة إلى العامية جواباً واحداً وهو عدم صلاح الفصحى للحياة بعامية . وهاهو ذا سلامة موسى يجيب في مقال له منشور بمجلة « الهلال » سنة ١٩٢٧ م قائلاً :

« والتأفف من اللغة الفصحى التى نكتب بها ليس حديثاً . إذ هو يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم أمين على اللغة الفصحى صعوبتها وقال كلمته المشهورة : « إن الأوربي يقرأ لكي يفهم . أما نحن فنفهم لكي نقرأ » أو ما معناه ذلك . وقد اقترح أن يلغى الاعراب فتسكن أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك . وقام على أثره منشئ الوطنية المصرية الحديثة أحمد لطفى السيد فأشار باستعمال العامية أي لغة العامة . ولكن هؤلاء العامة الذين انتصر للفتهم كانوا من سوء القدر لأنفسهم بحيث تألبوا عليه وجازوه جزاء لا يأتى إلا من العامة الذين لا يدرون مصالحهم » .

هذه الفقرة كافية لاثهار دوافع الدعاة إلى العامية وحقدهم على الفصحى . وهنا ثلاثة من أقطابهم . أما أحمد لطفى السيد فقد تاب عن الدعوة وانتهى إلى أن صار رئيساً للمجمع اللغوي بالقاهرة . وقانونه يمنع انتخاب من يخاصم الفصحى ويحاربها . ويدعو إلى العامية .

وعندما رشح بعض أعضاء المجمع اللغوي سلامة موسى لعضويته دفع العقاد بأن أول مطلب من المجمع المحافظة على الفصحى وسلامتها . فهل نختار سلامة موسى عضواً ليهاجم في المجمع الفصحى ويناقض قانونه . ووقف العقاد في وجه ترشيحه ففضى عليه . وأما قاسم أمين فقد هلك مع الهالكين وماتت معه دعاواه .

وكلمة « تأفف » في حالة سلامة موسى تبرهن على حقه البشع على الفصحى . أما حملته على العامة الذين أعلنوا الحرب على الدعوة إلى العامة فتدل على أشياء كثيرة منها : الحقد المتأصل في نفسه . وكفره الشديد بلغة القرآن لأنه عدو الإسلام .

ولم ينفع الدعاة تمسُّحهم بالعامة ونفاقهم إياهم رجاء الحصول على مرضاتهم . لأن العامة أدركوا سبب الدعوة إلى العامة ونبد الفصحى إدراكاً صحيحاً فحاربوا الدعاة قبل الخاصة .

أدركوا أن الدعاة إلى العامة كفرة بالقرآن . فالعامة يقبلون التضحية بأنفسهم في سبيل بقاء القرآن كما أنزله الله جل جلاله . وإنهم لمستعدون للحرب في سبيل كتاب الله . ولهذا حاربوا الدعوة والدعاة الذين أعماهم عداء الإسلام عن إدراك حقيقة المسلم الذي يأبى كل أجداد الدنيا تلقاء عقيدته أو المس بكتاب الله .

فلا غرابة إذا تألب العامة على الدعاة . لأنهم عرفوا أن الدعاة جميعاً كفرة . وما كانوا ليرضوا عن الكافرين ولو تظاهروا لهم بالمودة . ولو عقل الدعاة لانصرفوا عن باطلهم . ولكن من فطر على الشر لا يتركه . وكذلك هؤلاء الدعاة إلا النادر .

وأما كلمة قاسم أمين التي أعجبت سلامة موسى فمغالطة واقتراء . لأن كل قارئ يقرأ ليفهم . وليس الأوربي وحده هو الذي يقرأ ليفهم . بل الصيني والياباني والافريقي والبرازيلي والناس جميعاً يقرأون ليفهموا . وليس العربي بشاذ بين الأجناس بسبب لغته الفصحى .

ولكن هؤلاء . الدعاة لحقدهم على الفصحى يتجنَّبون عليها ويفترون عليها الكذب وهم يعلمون أنهم يفترون . فقد ثار بيني وبين سلامة موسى جدل عنيف غير مرة كان ينتهي إلى العجز عن الرد مع التمسك ببعض الفصحى .

ومع أنه من أشد من عرفت الدنيا بغضا ومقتا للفصحى . لأنها لغة القرآن فإنه لم يستطع أن يستبدل بها العامية التي عبدها . بل لم يكتب بها . بل عجز عن الكتابة بها . وبذلك قدم هو نفسه الدليل على بطلان ما دعا إليه .

أما إلغاء الإعراب الذى دعا إليه قاسم أمين وغيره من مبغضى الفصحى أعداء الإسلام والعروبة فتلك دعوة مستحيلة فى العربية . لأن قوامها به . ولهذا لا يمكن بحال الاستغناء عن الإعراب أو إلغاؤه .

وحركات الاعراب بخاصة والحركات بعامة أجزاء أصيلة فى الكلمة العربية . ولا يمكن تصور كلمة دون حركات . لأنه لا وجود لكلمة دون حركات البتة .



الدعوة إلى إنطاق أبطال القصص كما ينطقون في واقعه

خصوم اللغة العربية الفصحى ابتكروا دعوات كثيرة إلى هدمها ، واخفقت كل دعواتهم ، وكلما ماتت دعوة بعثوها وجددوها ، فالدعوة إلى العامية تتجدد دائما ، ولم يياسوا ، وأصروا على أن تدخل العامية المسرح والسينما والقصص والروايات ، وزعموا أن من الحتم أن تتكلم الخادمة بالعامية وبأسلوب الخدم ، وكذلك كل طبقة من طبقات الشعب .

وزعموا أنه لا يصح أن يتكلم العامة الكادحون بلغة الارستقراطيين الأعلياء ، فلا يصح - مثلا - أن يتكلم سائق سيارة طه حسين وطباخه وخادمه وبستاني حديقته بأسلوبه الرفيع ، فإذا ألف طه حسين رواية وجب عليه أن ينطق كل واحد من هؤلاء في الرواية التي تجمعهم بلهجاتهم وأساليبهم .

ونحن لا نسمع هذه الدعوة في جميع الآداب العالمية ، وإنما تنطلق الدعوة في اللغة العربية وفي الأدب العربي دون غيرها من اللغات والآداب .

ولا تنطلق الدعوة في لغتنا العربية وأدبنا العربي إلا من ذوى الأمراض والعاهات الذين يجاربون الفصحى ، لأنها لغة القرآن الكريم والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام .

وألف قصصا وروايات نجد بين أبطالها أعلياء وسوقة . كادحين ومنعمين . ارسنقراطيين وبروليتاريا .

وفى أواخر سنى حياة طه حسين رحمه الله وأسكنه الجنة سمعت له مقابلة إذاعية سرتنى . فقد سئل عن أوقاته : كيف يقضيها ؟ فأجاب : بقراءة القرآن وسماعه . وسئل : أسمع التمثيليات ؟ فأجاب : أنا لا أسمع العامية ولا أسمع أي رواية تكتب بالعامية !.

وأولئك الدعاة الذين يحتمون إنطاق أبطال القصة بلغات ولهجات تتفق مع حياتهم وحرفهم ووظائفهم وأعمالهم وبيئاتهم ومراكزهم الاجتماعية يعميهم العداء للفصحى عن واقع الآداب العالمية التى لم يهبط أقطابها إلى أساليب السوق والصعاليك .

ونضرب المثل بشكسبير التى تضم رواياته كل صنوف البشر من ملوك وسوقة . وأغنياء وفقراء . ومرضى وأصحاء . ولصوص وأمناء . ومجرمين وأبرياء . وعسكريين من قادة وضباط وجنود . وكناسين وخدم وقتلة . ورجال ونساء . وكبار وصغار وأطفال الخ .

ولم يجعل أسلوب كل بطل متفقا مع مكانته . بل أنطقهم جميعا بأسلوبه الرفيع .

وكذلك كل الأدباء العالميين . فهذا طاغور أديب الهند الأكبر وأحد كبار الشعراء فى العالم لم يُنطق فى مسرحيته العظيمة المسماة « الزنابق الحمر » كل بطل فيها حسب مركزه . بل أجرى على ألسنة أفراد من السوق معاني لا تخطر ببال هؤلاء الدعاة . لأنهم ليسوا فى موهبة طاغور الأدبية وعبقريته الفنية .

وعشرات من عباقرة التأليف المسرحي لم يجعلوا كل بطل من أبطال رواياتهم يتكلم بحسب تعليمه ومكانته . بل أنطقوا أبطالهم بلغتهم العالية ومعانيهم السامية وأساليبهم الرائعة .

ففى « الزنابق الحمر » كان غلام حفار وحفارون وأزواجهم العامة الأميون يتكلمون وكأن كل واحد منهم أديب عبقرى . ولم يقل له متحذلق : لماذا لا تجعل حفارا حقيرا عاميا أميا ينطق بكلام حقير يتفق معه ؟! ولماذا تجرى على لسانه ما يجرى على لسانك البليغ ؟!

بل نقول لهؤلاء المتحذلقين : لماذا لم تنقدوا شكسبير وجوجول وموليير وطاقور وأمثالهم من عباقرة الرواية في العالم على جهلهم ما علمه أولئك المتحذلقون . إذ لم يُنطِقُوا السوقَ بأسلوبهم الوضع ما يجري على ألسنتهم من كلام تافه حقير . بل أنطقوهم بكلام يُعدُّ من البيان الرفيع وبأسلوب يعتبر من الأدب الإنساني العظيم .

إن كل قصد أعداء الفصحى هدمها . ولهذا يطلقون دعواتهم الهدامة دون أن يبالوا الحق . لأنهم أبعد الناس عن الحق .



الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والعلم

بدأت الدعوة إلى اتخاذ العامية بدل الفصحى منذ أكثر من مئة سنة . ولعل أول من حمل لواءها المستشرق الألماني « ولهم سبيتا » المولود سنة ١٨١٨ م والها لك سنة ١٨٨٣ م وكان من كبار موظفي دار الكتب المصرية في عهد الاستعمار البريطاني الغاشم .

وطبيعي أن يجد «سبيتا» ودعوته تشجيعا وعونا من الاستعمار الذي وضع خططه لضرب الإسلام ولغته ، وألبس دعوته ثوب الغيرة على الشعب العربي المسلم في مصر . ووجد من بعض المصريين تأييدا .

وهاجم سبيتا الفصحى ، واختلق عليها عيوباً ، ومسح جمالها الذي تفردت به دون سائر لغات البشر . لأنها اللغة الوحيدة الموزونة كل كلمة فيها وزناً موسيقياً .

والدعوة إلى اتخاذ العامية بدل الفصحى لغة الكتابة والعلم دعوة مستحيلة التنفيذ والتطبيق .

ويكفي البرهان القاطع على استحالة تحقق الدعوة الواقع ، نعم ، الواقع الذي لا يغالب .

وما ثم برهان أقوى على فساد دعوة من أن داعيها المخلص لا ينفذها ولا يحققها . بل يقدم الدليل على استحالتها بأنه يتخذ خصمها أدواته ووسيلته في الخطاب والكتاب .

فهذا الداعية الى اتخاذ العامية لغة للكتابة والعلم بدل الفصحى لم يتخذ هو نفسه العامية لغته في دعوته وفي كتابته . بل اتخذ الفصحى . لأنه يؤمن حق الإيمان باستحالة تنفيذ دعوته الهدامة .

وقضى حياته داعيا إلى هجر الفصحى . قاذفا إياها بشر التهم . مختلقا عليها أبشع النقائص والعيوب . واتخذ لمحاربة الفصحى كل سلاح رأى فيه تحقيق مأمله . وحسب أن دعوته ستجرح . لأن كل العرب في جميع أقطارهم لا يخاطب بعضهم بعضا بالفصحى . وإنما يتخاطبون بالعامية .

وما دام الأمر كذلك فليبادر إلى وضع قواعد لها تحفظها من الضياع . وتمكن لها من السيادة والبقاء . وألف كتابا سماه « قواعد اللغة العامية في مصر » أراد به إعلاء شأن العامية . والزراية بالفصحى .

ولم يكن وحده في مضمار الدعوة إلى العامية . كما لم يكن وحده في ميدان محاربة الفصحى . بل كان معه من الأوروبيين ومن الصليبيين العرب . ووجدوا صفوفهم . وأعدوا كل ما لديهم من قوة .

ولكن الدعوة أخفقت . فكل الدعاة الى اتخاذ العامية بدل الفصحى كانوا هم أول معاول هدم ما دعوا إليه . فلم نجدهم يتخذون العامية لغة دعوتهم . وبذلك قدموا الدليل على أن دعوتهم باطلة . وأنها لا يمكن أن تكون لغة الكتابة والعلم والأدب .

وإذا قسروا أنفسهم وكتبوا الدعوة باللغة العامية لما اهتم بقراءتها المتعلمون . لأنهم لا يميلون الى أن يقرأوا ما كتب بالعامية إلا نادرا . ولا يقرأون إلا النكت والفكاهات .

أما البحوث الجادة فهم ينصرفون عنها إذا كتبت بالعامية . ولهذا كان الدعاة إلى اتخاذ

العامية لا يكتبون ولا يخطبون بها . وكان من أسباب انصرافهم عنها شيوع الأمية حتى كانت نسبة من يعرف القراءة والكتابة لا يتجاوز ثلاثة في المئة . فلمن يكتبون ؟ أالذين لا يقرأون ولا يكتبون ؟ لهذا لم يكتبوا بالعامية .



العامية بدل الفصحى

الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والعلم والأدب بدل الفصحى دعوة هدامة خطيرة كل الخطر ، أراد منها دعائها من الصليبيين والشيوعيين والصهيونيين وأعداء الاسلام القضاء على الاسلام نفسه بالقضاء على القرآن والحديث وكل آثار العرب البيانية . وأنا أقرأ في بعض الصحف العربية - وفيها بعض صحفنا - تجديدا لتلك الدعوة وتطبيقها ، وبعض من حملوا وزرها لم يفتنوا إلى المخطط الذي وضعه أعداء الفصحى الذين هم أعداء الإسلام لهدمه بهدم الفصحى .

ولكن الله الذى تكفل بحفظ كتابه الكريم الذى تبعه حفظ لغته قد هزم الدعوة الى العامية شر هزيمة منذ أعلنها دعائها الأولون ، وأخذت الهزائم تتوالى على الدعوة اللثيمة الهدامة على مر الأيام ، ومع ذلك تتجدد الدعوة التى كانت فى بدء إعلانها مقصورة على المستعمرين الأوربيين ، ثم أضيف إليهم الشيوعيون والصهيونيون .

ونشطت الشيوعية فى العالم العربى فصدرت لها صحف كثيرة فى أكثر أقطاره ، وأنشأت لها مراكز ومكاتب ثقافية لهدم كل ما هو خير وحق وصلاح ، وطبيعى أن تهتم بالزحف على لغة القرآن بمختلف الوسائل .

واجتمعت كل مذاهب الهدم لهدم الفصحى ، ولكن كل جهودها ومحاولاتها أخفقت ، ومع أن الدعوة الى اتخاذ العامية وإحلالها محل الفصحى قد بدأت منذ زمن بعيد ، وأخذ أعداء

الإسلام يجددونها بأساليبهم الشيطانية فإنها لم تنجح في عالم الكتابة والتأليف ، كما أنها أخفقت في عالم الصحافة فلم تظهر صحف جديدة بالعامية بعد أن ماتت الصحف التي اتخذت العامية لغتها . ماتت صحيفة « البعكوكة » وصحيفة « حيز بُوز » كما ماتت كل الصحف التي كانت تعنى بالعامية وتروجيها مثل مجلة « الفكاهة » التي كانت تصدرها دار الهلال بالقاهرة .

وأخذ أناس عن حسن نية أو غفلة يروجون العامية ويدعون إليها تحت عنوان « الأدب الشعبي » وصدرت دواوين في بلادنا باللغة العامية دون البلدان العربية الأخرى ، ونشطت الدعوة إلى حفظ التراث الشعبي وتدوينه وطبعه . ولكن مصير الدعوة الى زوال .

وهذا النشاط لن يضمن للدعوة الحياة والبقاء . لأن هذا النشاط نفسه سيذوب مثل فقاعة الصابون عن قريب .

وابتكر أعداء الفصحى وسيلة جديدة . فهم عندما أخفقوا في نشر العامية بين الكبار انفتلوا إلى الصغار فصدرت لهم صحف بالعامية ، تغريهم وتدفعهم إلى قراءتها دفعا .

وهذه خطة أشد فتكا من خطة نشر العامية بين الكبار الذين لم يتأثروا بالدعوة فأقبل الأعداء إلى ناشئة المسلمين من العرب يفسدون عليهم أذواقهم وملكاتهم .

وعندما تفسد الأذواق والملكات تفسد المشاعر . وحينئذ تكون النفوس مهياة لفساد العقيدة .

وعلى ذوي الغيرة من الحكام أن يقفوا في وجه هذا الضرب من الصحف ويقضوا عليها . ويستبدلوا بها صحفا بالفصحى . فالعربية تتسع للأطفال ولغيرهم .

وهناك المسرح الذى يعنى فى الأغلب الأعم بالعامية . يؤيده الغناء بالعامية . والشعر الشعبى . والفولكلور .

وكل هذا حرب على الفصحى يجب أن نستعد لها ونقلل من شأنها وآثارها . فالعربية لا تضيق بالمسرح والتمثيل . بل تتسع لها . فقد كان المغنون كالشيخ سلامة حجازي وغيره فى مصر يغنون بالفصحى . وكان كبار المغنين فى الحجاز ومن تبعهم يغنون شعرا فصيحاً .

وكذلك المسرح ، فقد كان كثير من الروايات التي مُثِّلت باللغة العربية الفصيحة من روائع الأدب العربي والأدب العالمي .

وإن تشجيع العامية في الآداب والفنون ضرب من ضروب محاربة الفصحى ، وواجبنا تأييد لغة القرآن والحديث والاسلام ، ومناهضة ما يغيرها في التعبير .

يكفى أننا نتخذ العامية لغة التخاطب ، ولا ضرورة لأن نجعلها لغة الآداب والفنون .

وأخذت العامية تقترب من الفصاحة فاختلفت مئات الكلمات العامية ومئات التعبيرات الركيكة من عامية العالم العربي ، فمن الحري بنا ألا نشجع العامية على حساب الفصحى ، لأن في تشجيع العامية نصراً وتمكيناً لها ، ومحاربة للغة القرآن ، ومعاذ الله أن يحارب مسلم حق كتاب الله العزيز .

نطاق العامية شديد الضيق

أيمكن أن تتسع العامية للعلوم والآداب والفنون ؟.

الجواب من الواقع نفي قاطع . لأن العامية لم تتسع لدعاتها حتى يقدموا الدليل على صلاحها لأن تكون لغة الكتابة . وإنما نجد هؤلاء الدعاة أنفسهم عجزوا عن اتخاذ العامية لغة دعوتهم . ولم تنجح محاولة من محاولاتهم .

ومن أعظم محاولاتهم أن داعية ترجم الإنجيل الى العامية المصرية الدارجة ، وهو وليم ولكوكس المولود بالهند سنة ١٨٥٢ م والهالك بمصر سنة ١٩٣٢ م وهو إنجليزي من أشد الاستعماريين بغضا للإسلام ولغة القرآن . وكان مهندسا .

ويصف سلامة موسى القبطي وأحد أفظع أعداء الإسلام والقرآن والفصحى عمل سيده ولكوكس في مقال له نشره بالهلال سنة ١٩٢٧م (١٣٤٥ هـ) وهذا نص ما قال سلامة موسى :

« والسير ولكوكس يدعوا الى هجر الفصحى هجرا تاما واصطناع العامية . وقد ترجم هو نفسه الإنجيل الى اللغة العامية المصرية فوفق فيه الى ترجمة حية يقرأها المصري فيلذ له الأسلوب ويرى فيه جوا مألوفاً يشم منه النكهة البلدية . وهو في اعتقادي أوقع في النفس من الإنجيل المترجم الى اللغة الفصحى » .

هذا الإنجيل الذى ترجمه ولكوكس الى العامية المصرية طبع منه عشرات الألوف . وأخذت الكنائس والمؤسسات المسيحية توزعها دون ثمن . ومع كل هذا النشاط المتضرم فى التوزيع مات الانجيل المترجم الى عامية مصر . ولم يصلق سلامة موسى فى زعمه كعادته .

كان فى أيام طبع هذا الإنجيل عدد الذين يقرأون ويكتبون فى مصر بين الأقباط القلة والمسلمين الكثرة لا يتجاوز ٣٪ ولم يكن عدد القبط يتجاوز المليون ؛ ومع هذا لم يكن بيد القبطي العامي نسخة منه . لأنه أمي لا يقرأ ، وأما القبطي المتعلم فما كان حريصا عليه . لأنه يؤثر عليه الترجمة الفصيحة .

وسلامة موسى نفسه لم يكن يقرأ إلا الترجمة الفصيحة . وكذلك كل القبط المتعلمين . وكانت بخزانة كتبي نسخة من الإنجيل ترجمة ولكوكس . وهي أشد رداءة وركاكة من الإنجيل المترجم الى الفصحى .

أما العامة من المسلمين فلم يشعروا بصدور ترجمة ولكوكس . وأما المتعلمون فما كانوا يقتنون الإنجيل إلا النادر الذى اقتضاهم البحث وادخار المراجع أن يحتفظوا به . وحتى الآن ندر فى مصر بين المسلمين وكذلك فى لبنان من لديه نسخة من الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى .

وعندما ترجم ولكوكس الإنجيل إلى عامية مصر أراد أن يعزف على وتر الدين ليؤثر فى الناس . ولكنه غفل عن شيوع الأمية . ونسي أن عدد الأقباط قلة . وجهل أن المسلمين جميعا لا يقتنون الإنجيل ولا يقرأونه الا أحادا دفعهم البحث الى اقتنائه .

وهكذا ماتت ترجمة ولكوكس فى حياته . واكملت الأرضة فى مستودعات الكنائس آلاف النسخ . وخلت الأرض منها . كما ماتت الروايات والحكايات والصحف التى كانت تتخذ العامية لفتها .

وصدرت فى لبنان رسائل بالعامية اللبنانية ماتت هي أيضا . مع أن أعداء الفصحى وعلى رأسهم سعيد عقل الصليبي كانوا ينفقون مئات الآلاف من الليرات اللبنانية لترويج العامية وإحلالها محل الفصحى فما نجحوا . بل انطوا هم وما دعوا اليه . وبقيت لغة القرآن لغة الذين والعلم والأدب والثقافة .

ومن المفارقات العجيبة أن مقابل كل ورقة تصدر بالعامية من قبل أعداء الفصحى تصدر عشرة آلاف ورقة بالفصحى .

وأحصيت فهارس الكتب التى صدرت فى لبنان وحدها بالفصحى فوجدت بها خلال خمس السنوات الماضية ما صدر من الكتب بالفصحى بلغ بضعة آلاف كتاب . ولم أجد بين هذه الآلاف المؤلفة كتاباً واحداً باللغة العامية .

حتى الذين يحاربون الفصحى يكتبون بها مقالاتهم وبحوثهم وكتبهم . وأن ذلك مصداق قول الله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالله تكفل بحفظ القرآن ولغته التى هزمت كل أعدائها . وخرجت من الحروب المشنونة عليها منتصرة مرفوعة الذكر منشورة اللواء .

وعندما كانت السيادة لأعداء الفصحى على أقطار العروبة والإسلام لم يستطيعوا أن يحققوا دعوتهم . بل هزمتهم لغة القرآن هزيمة نكراء فلم تتجح دعوة من دعواتهم الكثيرة التى أرادوا منها هدم الفصحى مثل دعوتهم إلى اتخاذ الحرف اللاتيني بدل الحرف العربى . ودعوتهم إلى إلغاء الاعراب .

وادعوا على العربية دعاوى كثيرة ليحملوا بها العرب على ترك لغتهم الفصحى . فزعموا للعرب أن لغتهم صعبة . وأنها لا تصلح للحياة . وأنها لغة بداوة وليست بلغة حضارة . فهى غير صالحة للمتحضرين .

وزعموا - فوق ذلك - أن قواعد صعبة كل الصعوبة . ولهذا قرروا عدم صلاحها . ونصحوا بأن يستبدل العرب بفصحاهم اللغة العامية التى هى لغة الحياة كما زعموا .

وبلغ أعداء العربية والعرب والإسلام فى البلاهة أقصى مداها حينما ظنوا العرب بُلهاً فاقدى التمييز بين الأضداد التى يقف تمييزها على الغرائز ، وحسبوا أن العرب سيتركون لغتهم الفصحى لأول إشارة تصدر منهم .

ولكن الدعاة هلكوا وهلك معهم دعوتهم وبقيت الفصحى لغة الأدب والعلم والكتابة . ولم يتخذ عربى أصيل العامية فيؤلف بها كتاباً . بل إن أعداء الفصحى أنفسهم كسلامة

موسى وسعيد عقل لم يؤلفوا بالعامية . بل ألفوا بالفصحى . كتبوا بها دعوتهم إلى العامية .
وبذلك قدموا هم أنفسهم براهين بطلان دعوتهم التى لم يأخذوا بها .

وهذا - ولا شك - من أسرار معجزة لغة القرآن التى تبقى ببقائه . ولم تهزم قط ولن تهزم
أبدا . لأن الله جل جلاله حافظ للفصحى بحفظه كتابه العزيز الذى تكفل به إذ قال فيه :
(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

ازدواجية الفصحى

كل أعداء الفصحى من الصليبيين سواء أكانوا أوريبيين أم كانوا عربا من مصر ولبنان من أمثال وليم ولكوكس الانجليزي وسبيتا الألمانى وسلامة موسى ولويس عوض القبطيين المصريين وسعيد عقل وأنيس فريجة المارونيين اللبنانيين يهتمون اللغة العربية الفصحى بالازدواجية والانقسام . ويقصدون بها وجود لغتين : إحداها العامية الدارجة التى يتخاطب بها العرب جميعا فيما بينهم . والأخرى الفصحى المقصورة على القلم والكتاب . يقول سلامة موسى فى كتابه « البلاغة العصرية » صفحة ١٤٧ : « يجب ألا يكون للمجتمع لغتان : إحداها كلامية أي عامية . والأخرى مكتوبة أي فصحى كما هي حالنا فى مصر » .

ويقول أنيس فريجة فى صفحة ٤٠ من كتابه « نحو عربية ميسرة » : « تنحصر مشاكل اللغة العربية الأساسية فى أربعة أمور : أ - وجود لغتين مختلفتين : عامية وفصحى » الخ . وقد سبقها « ولهم سبيتا » فقال فى كتابه المسمى « قواعد اللغة العامية فى مصر » : « كل من عاش فترة طويلة فى بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة » .

ويقول سعيد عقل في مقال له منشور بجريدة « النهار البيروتية » : « نواجه معركة اللغة فنخوضها غير هيّابين ، إن ناموس الإفصاح يقضى بأن يحل لسان النطق محل لسان الكتاب ، ولسان الكتاب هذا الذى حنا عليه لبنان وأبلغه أشده ولقن العرب كيف إطلاع التحفة فيه الخ » .

هؤلاء أربعة من أئمة الدعاة إلى العامية- وغيرهم مثلهم- مجمعون على أن عيب العربية والعرب وجود لغتين في مجتمعاتهم : إحداها لغة الخطاب الدارجة ، والثانية لغة الكتاب التى لا يحسنها إلا من تعلموها وأتقنوها ، وهؤلاء أنفسهم لا يتحدثون فيما بينهم بالفصحى ، وإنما يتحدثون بالعامية التى هي لغة تخاطبهم فى البيت والسوق والنادى والمدرسة وفى المعهد والجامعة .

وهذى دعوى من دعاوى أعداء الفصحى الكثيرة ، إذ يزعمون أن العرب وحدهم دون كل الأجناس يستعملون لغتين متغايرتين : عامية وفصحى ، وأما غيرهم من الأمم فلهم لغة واحدة فى الخطاب والكتاب .

وقبل أن نفند هذه الأبطولة نقول لأصحابها مجازاة لهم : قبلنا دعواكم وسمعنا ، أن لدى العرب دون الناس لغتين : عامية وفصحى ، فماذا ترون ؟.

يرون أن ندع الفصحى لأن الشعب لا يحسنها ، وتأخذ العامية ونتخذها لغة العلم والكتابة ، وبذلك نقضى على ما يسعونه « الازدواجية » .

والآن ، وقد رأوا التمسك بالعامية على زعمهم لغة الشعب ولغة الحياة نسألهم : أي عامية نختار ؟.

يجيب سعيد عقل : عامية زحلة . وليس ما نسبناه إليه قاله لم يقلها ، بل كتب منذ زمن مقدمة ديوان شعر بعامية زحلة .

وإذا رضينا بأن يجعل كل شعوب الأمة العربية عامية زحلة لغة الأدب والعلم والكتابة والفلسفة والفن فهل يفهمونها . عندما كتب سعيد مقدمة ذلك الديوان بعامية زحلة مات فى كل لبنان . بل لم يعرف فى « شتورة » التى لا تبعد عن زحلة غير ميل .

ولن يرضى سلامة موسى بعامية زحلة . بل هو يختار عامية شارع الدواوين قرب ميدان « لاط أوغلي » لأنه كان يسكن فيه سنة ١٩٣٦ م وما بعدها . وهي تختلف عن عامية شبرا وباب الحديد .

وهكذا يختلف الدعاة ولا يتفقون على لغة واحدة من هذه العاميات الكثيرة . وكلها لا يمكن أن تكون لغة القلم والكتاب .

ونحن لم نكتب هذه الكلمة لتفنيد أبطولة الدعوة إلى العامية . ولهذا نتركها لنواجه دعواهم أن العرب وحدهم هم الذين لهم لغتان : فصحي للكتابة والعلم . ولغة للخطاب هي العامية .

ومن كثرة ترددهم لهذه الفرية صدقها بعض الكتاب والمثقفين من العرب وأخذوا يرددون وينادون بالويل والثبور من هذه الازدواجية التي تفردت بها لغة العرب دون سائر اللغات .

أفصحيح ما زعمه الزاعمون من أعداء الفصحى وما رده مصدقوهم المخدوعون ؟
إن سلامة موسى ولويس عوض يحسنان الانجليزية وتعلما في بريطانيا . ويعرفان حق المعرفة أن للانجليز لغتين : عامية وفصحى . مثلهم مثل العرب . وكل لغات العالم - دون استثناء - مثل العربية .

بل يعرف الدعاة ممن يحسنون الانجليزية كسلامة موسى ولويس عوض أن العامية الانجليزية في لندن تختلف باختلاف الأحياء والطبقات . ثم إن عامية الأدباء والشعراء وأساتذ كليات الآداب واللغة ليست مثل عامية الصحفيين . مع أنهم جميعا من طبقة المتعلمين والمثقفين .

ولا يمكن أن يتصور مثقف - مجرد تصور - أن لغة الأديب المشهور جورج برنارد شو الانجليزية هي لغة الشارع . بل لا يمكن أن نتصور أن الانجليزية أو الفرنسية فصيحة خالصة . وليس لها عامية دارجة .

وما من لغة على وجه الأرض إلا وفيها فصحي للكتابة والعلم . وعامية للمخاطبة

الدارجة . وإلا لكان الناس متقاربين في الفصاحة والبيان . وهذا غير واقع . بل يتعذر وقوعه .

وأعداء الفصحى حينما يزعمون أنها اللغة الوحيدة التي تختلف عن غيرها من اللغات في مسألة اختلاف لغة القلم والكتاب عن لغة الخطاب إنما يفترون الكذب على العربية وهم يعلمون .

وإذا كان في العربية فصحي وعامية فكذلك كل اللغات شأنها شأن لغة العرب . وما هي بشاذة بين اللغات .

يقول الأستاذ عباس حافظ - أحد كبار المترجمين من الانجليزية إلى العربية في العالم وليس في مصر وحدها أو العالم العربي وحده - في مقال له منشور بمجلة « الإذاعة المصرية » سنة ١٩٥١ م :

إن أرقى شعوب الأرض تكتب بلغة تغاير لغة الكلام « ومن يظن أن الانجليز أو الفرنسيين أو الروس أو الألمان يكتبون كما يتكلمون يخطئ الخطأ كله . فان هؤلاء أيضا لغة كلامية أو كلاما دارجا أو طريقة سخيفة في التعبير لا تستقيم إذا كتب بها . ولا تكفى للتأدية البارة . ولا تصلح للانشاء والوصف والترسل والاستطراد المطلوب في الأدب الرفيع » .

ومع وجود لغة عامية ولغة فصحي في الانجليزية وغيرها من اللغات الحية فان أولئك الناقمين على العربية الفصحى الداعين إلى هجرها وإتخاذ العامية بدلا عنها كذبوا على أنفسهم وعلى الناس حينما خصوا العربية وحدها دون سواها بوصمة الازدواجية . لأن أهلها يتخذون الفصحى حينما يكتبون . والعامية حينما يتحدثون .

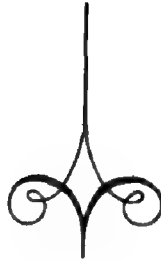
إن أعداء الفصحى لا يجهلون هذه الحقيقة التي تعد من البديهيات . بل يعلمون حق العلم أن الانجليزي يكتب بلغة ويتكلم بأخرى . وكذلك الألماني . والروسي . والفرنسي . ولكن عداءهم للإسلام والقرآن دفعهم دفعا إلى معاداة لغتهما الفصحى واختلاق الأكاذيب عليها في جراءة وقحة لا مزيد عليها . مع أن لكل شعب من شعوب هذا العالم لغتين : فصحي وعامية .

فلماذا لا يعادى خصوم العربية لغات الأوربيين ؟ أليس لديهم فصحي للكتاب . وعامية للخطاب ؟ ولماذا يقصرون اتهامهم للغة القرآن دون كل اللغات ؟ ولماذا لا يعلنون الحرب إلا على اللغة العربية ؟ لأنها لغة الإسلام ولغة القرآن .

نعم . إن سبب عدائهم للعربية الفصحي عداؤهم للإسلام وكتابه المجيد ورسوله العظيم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ومع أن الدعاة أعلنوا الحرب على اللغة العربية في زمن كان العرب مستعمرين فيه لأعدائهم فإن محاولاتهم زهقت وأخفقت دعواهم فهلكت الدعوة والدعاة وبقيت العربية عزيزة قوية مرفوعة الذكر .

ولما كان الله عز وجل قد تعهد بحفظ كتابه فقد صارت العربية محفوظة بحفظ الله كتابه . وتلك معجزة القرآن وسعت لغة الفصاحة والبيان .



(١) ازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي

ازدواجية اللغة يقصدون بها ازدواجية اللغة العربية . وهي من اختراع أعداء الفصحى العربية الحاقدين عليها . ومعنى هذه الازدواجية عندهم أن العرب في هذا العصر يتكلمون بلغة ويكتبون بأخرى . يتكلمون العامية ويكتبون الفصحى . وهذه دعوى استعماريين ومستشرقين وصليبيين ، وإنهم ليعلمون حق العلم أن دعواهم باطلة .

وليس بمستغرب من العدو أن يحقد على عدوه ويتربص به الدوائر . ولكن المستغرب أن مثقفين عربا مسلمين اتهموا العربية بما اتهم به عداها . وليسوا بمغذورين أن أولئك الأعداء أوحوا إليهم بازدواجية اللغة حتى اعتقدوا أن هذا الاتهام صحيح . فأخذوا يرددون الاتهام !.

إن أعداء العربية اتهموا العرب بالازدواجية . وسأها بعض كتاب العرب الانفصام اللغوي .

ومن هؤلاء الكتاب من زعموا هذا الزعم عن حسن نية . ومنهم الأستاذ مصطفى زين الذي كتب الكلمة الرابعة تحت عنوان عام هو « من قضايا المسرح » وعنوان الكلمة « بين

العامية والفصحى « نشرت بمجلة المجلة التي تصدر من لندن بالعدد ٥٣ الصادر في يوم السبت ١٠ - ١٦/٤/١٤٠١ هـ (١٤ - ١٩٨١/٢/٢٠ م) جاء فيها :

« يؤكد بعضهم أن هناك انفصاما في الشخصية العربية الأساسية . وأن السبب الرئيسى يعود إلى اللغة ، فالعربي يتعلم لغة مختلفة عن اللغة المحكية . ويكتب لغة غير اللغة اليومية ، وهذا ما يجعل الكاتب يدخل في عالم آخر غير العالم الذى يعيش فيه عندما يكتب » .

« واللغة سلطة مثل كل السلطات تفرض قوانينها ، ولا تقبل في ظلها من يستهتر بهذه القوانين أو يخرقها » .

ويقول الكاتب : « وإذا كانت اللغة السلطة صارمة في تطبيق قواعدها فاللغة المحكية أكثر تساهلا وأقل صرامة ، وفي معنى آخر تبدو اللغة المحكية وكأنها عفوية منطلقة من الداخل ، وتبدو اللغة الفصحى وكأنها مفروضة من الخارج » .

وخلاصة رأي الكاتب أن لدينا لغتين : فصحية وعامية . والعامية سهلة طبيعية . أما الفصحى فصعبة صارمة مفروضة . وكل منهما تغيير الأخرى .

ومفهوم كلامه بالضرورة أخذ ما كان سهلا وطبيعيا ، ويقابل الأخذ ترك ما ليس بطبعي ولا سهل .

فهل العرب شذوذ في القاعدة دون الناس ، القاعدة أن للانسان لغة واحدة سواء أكانت محكية أم فصحية .

إن اعداء العربية والقرآن والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام قد زعموا للعرب أن اللغة العربية الفصحى تغيير لغة الكلام مغايرة تامة ، فكل منهما لغة مستقلة . العامية لغة الحياة ، والفصحى لغة البداوة ، العامية سهلة سمحة ، والفصحى شاقة صعبة ، فالأولى أن نستبدل العامية بالفصحى ، ونتخذ العامية لغة الكتابة والعلم .

وصدق بعض كتاب العرب ما زعمه أولئك الأعداء فحملوا عنهم الدعوة الى تمجيد العامية والازراء بالفصحى ومنهم الأستاذ مصطفى زين أحد محررى المجلة .

ونحن نقرر الواقع ونسألهم : هل اللغة الانجليزية واحدة عند العامة وعند الكتاب ؟ أَلغة الكتابة هي نفسها لغة الحديث ؟.

يجيب الواقع : ليست لغة الكتابة لغة الحديث ، الانجليز وكل شعب مثل العرب في اللغة ، هناك لغة عامية ولغة فصيحة ، بل في لندن عاميات معدودة ، فلغة بيكادلي العامة غير لغة داوتنج استريت العامة ، كما أن الفصحى الانجليزية تختلف بنسبة الكاتبين ، ففصحى برنارد شو غير فصحى العالم البريطاني المشهور السير أرثركيت ، وفصحاهما غير فصحى السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا .

وهذا طبيعي ، فالإنسان الواحد الذى يدل عليه أسلوبه يختلف عنده أسلوب القول باختلاف ظروفه ، فقد يكون في وقت صافي النفس فيكون أسلوبه مشرقا ، ويكون في وقت كئيبا ومضطرب النفس فينم أسلوبه عن تلك الكآبة وهذا الاضطراب فتتغير لغته بتغير ظروفه .

فالتهمة الموجهة إلى العرب القائلة بازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي تهمة عامة تتساوى فيها كل الشعوب ، وهي ليست تهمة ولا نقیصة ، لأن اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث أمر طبيعي .

فلغة برنارد شو عندما يتكلم مع زملائه الأدباء من أقرانه ليست لغته عندما يتكلم مع سائق سيارته أو طباخه أو بستانيه ؟ لأن لكل مقام مقالا ، فلهجته العامة تختلف مثل اختلاف فصحاء بحسب مقتضيات الحال والمقام .

وفى العربية عندنا مثل ما فى الانجليزية وغيرها ، لا بد من وجود لغة فصحى للكتابة ، وعامية للحديث ، وليس هذا الاختلاف بازدواجية فى اللغة ، لأنه طبيعي وضروري .

(٢) ازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي

أيمكن أن يأتي يوم على أمة من الأمم فتتحد لغة الخاصة ولغة العامة أو لغة الكتابة والحديث ؟!

أعتقد أن هذا الاتحاد غير ممكن ولا يمكن أن يتم . لأنه نقض للطبيعة التي لا يمكن نقضها ومخالفتها . ونحن نرى اجتماعا لا يحضره غير أعلياء الكتاب والمفكرين كأعضاء المجامع اللغوية . ويتحدثون فيما بينهم . ونصغى إلى أحاديثهم فإذا هي تختلف باختلاف المتحدثين . وإن كانت تتقارب في الفصاحة والبيان .

وكذلك العامة . وكذلك حينما يضم المجلس عامة وخاصة . ولا نريد أن نمثل بالعرب . لأن أعداء لغتهم اتهمهم بازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي . ونضرب المثل باللغة الانجليزية والناطقين بها حيث لا ازدواجية ولا انفصام كما يفهم من بهتان من اتهموا العرب .

فهل الانجليز والأمريكيون سلموا من الازدواجية والانفصام ؟ لا . لم يسلموا . فشأنهم شأن العرب . وكذلك شأن كل الشعوب في جميع الأزمنة والأمكنة . إن الازدواجية والانفصام مرض . ولا يسمى بهما اختلاف لهجات الناس . لأنه أمر طبيعي .

ولو فكر هؤلاء الزاعمون قليلا في العامية وبزوغ الفصحى لأدركوا خطأ تفكيرهم الذى نجم عنه خطأ زعمهم .

كيف بزغت شمس الفصحى عند كل الشعوب ؟ أكان بزوغها مصادفة أو دون أسباب ؟ ما أظن أحدا يزعم المصادفة في بزوغها كما لا يستطيع ادعاء البزوغ دون أسباب .

ثم . أيها أسبق ؟ الفصحى أم العامية ؟ لا شك أن العامية أسبق ؟ لأن الفصحى لغة أقرب إلى التمام انتهت إليه بعد تدرج في مراحل التطور .

فالفصحى - إذن - اللغة المتطورة الراقية . والتطور والرقي يتآن دائما على أيدي الخاصة والأعلاء لا العامة السوق . واقتضى الحفاظ على تمام اللغة وضع القواعد التى تعصم اللسان والقلم من الخطأ . وتعودها البيان والبلاغة .

وتأتى القواعد متأخرة عن اللغة لسلامتها والمحافظة عليها . والقواعد خاصة بالفصحى . لأن العامية غير خاضعة للضبط والإحكام مثل الفصحى . وما ثم حرص على العامية حتى تحتاج إلى قواعد تضبطها وتعصمها من الخطأ . لأن كل خطأ بالنسبة للفصحى ليس بخطأ بالنسبة للعامية إلا في حالات نادرة لم تكن بسبب الرغبة في صونها . مثل التفرقة بين المذكر والمؤنث ليست قاعدة لغوية ؛ وإنما هي في العامية ضرورة تقتضيها مغايرة أحد الجنسين للآخر .

والعامية غير خاضعة لقواعد الإعراب ، إذ لو خضعت لها لما كانت عامية . وعندما تخضع لها تصبح فصيحة . لأن القواعد يقصد منها حماية الفصحى من الانحدار إلى العامية .

ولما كان الناس مختلفين في الفكر والشعور فإن من الطبيعي أن يختلفوا في التعبير بحسب ما وهب الله لهم من مواهب وبحسب أنصبتهم من التربية والتعليم .

وإذا كان الاختلاف طبيعيا بين الأدباء أنفسهم - وهم أرباب الفصحى - بحسب اختلافهم في الفكر والشعور والذوق والعلم والثقافة اللغوية والمركز الاجتماعي فإن من

الطبيعي أن تكون في كل مجتمع لغتان : فصحي وعامية ، الفصحى للكتابة ، والعامية للحديث .

والاختلاف بين الفصحى والعامية تمليه الضرورة أو « الواقعية » التي لا تغالب . وهذا الاملاء الحتمي ليس مرضا حتى يزعم الزاعمون أن وجود فصحي وعامية في لغة إنما هو انفصام لغوي أو ازدواجية في اللغة .

وما دام وجود الفصحى والعامية أمرا طبيعيا فليس هو بداء يدفع الى طلب الدواء والتماس الشفاء منه ، وإذا كان مرضا فلماذا يكون الشفاء منه بالتخلص من الفصحى ؟ أكانت هي الداء ؟.

لماذا لا يجعلون الدواء الفصحى نفسها ؟ ولماذا لا يعتدون العامية مرضا ؟ هنا مرتبط الفرس كما يقال : إنهم يريدون هدم الفصحى . لأنها لغة القرآن والإسلام والحديث ومحمد عليه الصلاة والسلام .

ولكن دعوة أعداء الإسلام الى العامية قد أصابها ما أصابهم فهلكوا هم ودعوتهم . وبقيت الفصحى وستبقى أبد الدهر لأن القرآن باق وخالد .



(٣) ازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي

في حديثين سابقين رددنا على من زعموا ازدواجية العربية أو الانفصام اللغوي عند العرب . وبقي من الرد بقية نستوفيها في هذا الحديث .

قال الأستاذ مصطفى زين في مقاله المنشور بمجلة « المجلة » السعودية ما نصه :
« هذا الانفصام اللغوي كان ولا يزال حجة لكثير من أعداء العربية . وبدل أن يأخذوا هذا الواقع ويعملوا عليه ليطوروا ما استطاعوا في الفصحى والعامية على حد سواء اتخذوه حجة لمعاداة كل ما هو عربي ، خرجت دعوات مشبوهة تعمل على تقويض بنياتنا اللغوي دون تقديم بديل مقنع سوى ما تيسر لها من « التعصب العنصري » وكان من الطبيعي ألا تلقى هذه الدعوات تجاوبا » .

فالأستاذ مصطفى زين يقر بالانفصام اللغوي الذي لا وجود له كما أوضحنا ذلك في الحديثين السابقين .

أما رغبة الكاتب في أن يقدم أعداء العربية البديل المقنع فقد قدموه وهو اتخاذ العامية دون أن يبالوا أهو بديل يقنع أصحاب اللغة أو لا يقنعهم ، ويكفى اقتناعهم هم ، لأنهم يرون أنفسهم أوصياء على العرب .

ويظهر أن الكاتب وافق على البديل في جانب من الأدب اقتناعاً منه به فقال :

« وكان أن سحب هذا الانفصام اللغوي نفسه على المسرح ، فمن قائل بمسرح يعتمد الفصحى ، إلى قائل بمسرح يعتمد العامية ، إلى صاحب موقف توفيقى يكتب صاحبه مسرحاً بلغة فصيحة مبسطة قريبة من العامية .

« غير أن المسرح المكتوب باللغة المحكية بقي الأكثر التصاقاً بجمهوره والأكثر قدرة على التعبير عن قضاياها ، وأصبح المسرح الفصيح نادراً على امتداد رقعة العالم العربي . وكان هذا سبباً رئيسياً في عدم نشوء أزمة مسرحية واحدة ، وبالتالي مسرح عربي واحد . وقد يكون من الأفضل الإبقاء على مسارح عربية عدة بلهجات مختلفة من توحيدتها تحت سلطة اللغة الأم ، فنخسر عندها التنوع ونخسر الحرية التى تتيحها اللهجات العامية التى تعطى الممثل قدرة أكبر على الحركة ، إذ يتخلص من الضوابط والقوانين اللغوية » .

ويظهر من أقوال السيد مصطفى زين أنه مقتنع بصحة وجود انفصام لغوي عند العرب . ومقر بوجوده في لغة المسرح . ويرى أن اتخاذ العامية في المسرح اجدى ، لأنها الصق بالنظارة وأكثر قدرة على التعبير ، ويدعو إلى أداء مسرح كل قطر عربي بلهجته العامية . لأن تنوع اللهجات أفضل من الوحدة العربية المثلثة في الفصحى .

وخطأ هذا الرأي وهذه الدعوة ليس بخفي ، بل واضح مبين ، فأنا مع معاشرتى لكثير من أبناء الأقطار العربية فإن كثيراً من الألفاظ العامية لا أفهمها ، وعامة الناس وخاصتهم لا يفهمون لهجات غيرهم العامية .

بل إن أبناء القطر الواحد لا يفهم بعضهم لهجات بعض ، فسعيد عقل أحد كبار المحاقدين على الفصحى والقرآن والحديث والإسلام والعروبة كتب مقدمة ديوان « جَلَنار » باللغة اللبنانية العامية للشاعر ميشال طراد المطبوع سنة ١٩٥١ م ومات الديوان يوم صدوره . مات في لبنان نفسه وفي بيروت عاصمة لبنان ، لأن سعيد عقل كتب المقدمة بعامية زحلة بلد سعيد عقل .

ولهجة زحلة تغاير لهجة بيروت وطرابلس وغاليه وصوفر وبحمدون وغيرها من المدن والقرى اللبنانية .

وعرض في التلفزيون السعودي فلم « الذئب وعيون المدينة » وهو فلم عراقي وممثلوه عراقيون . وكانت لهجتهم عراقية . فلم أفهم بعض الكلمات .

ومنذ عشرين سنة كنت بالعراق ؛ وكتبت في « قائمة » الطعام ما أريد وبينه « الأرز » فلم يحضره الخادم ولم يبعثه مطعم الفندق . لأنها لم يعرفوا « الأرز » فكتبت اسمه بالانجليزية فأحضره فقلت : اسمه العربى الأرز . فقال تَسْنُ ، وأعطيت ثوبى لغسله وطلبته ولم يحضره لأنهم لم يفهموا معنى الثوب . وعجزت عن شرحه لهم . بل شرحته لهم فعجزوا عن فهمه . واضطرت للنزول الى الاستعلامات . وبعد جهد جهيد فهموا وقالوا : اسمه « دشدشة » .

وذات مرة سمعت من إسرائيل حديثا بلهجة الجزائر العامية فظننت الحديث بلغة أجنبية . وبعد تمنع دقيق عرفت أنه يتحدث بعامية الجزائر .

وكذلك اذا تحدث تونسيون أو مغاربة فيما بينهم بلهجتهم لا أفهم ما يقولون .

فلهجة كل بلد خاصة به . فاذا اتخذت لتدوين الأدب احتيج الى ترجمته . ولهذا لا يصلح للأدب غير الفصحى التى يفهمها كل أبناء الأقطار العربية .



اللغة العربية ليست اللغة المنفردة

قرأت في جريدة « المدينة المنورة » يملحها الأدبي الذي يشرف عليه الأستاذ سباعي عثمان حديثاً للأستاذ محمد المزالي رئيس وزراء تونس . ومؤسس مجلة « الفكر » الراقية نقلته عنها جريدة « المدينة » .

والأستاذ مزالي من كبار أدباء تونس . بل من أدباء العرب المحدثين المعاصرين . وأسلوبه في الكتابة رائع مشرق .

وشرفه - وهو أديب - أعظم من شرفه وهو رئيس وزراء وحكومة ، والفارق بين الشرفين عظيم . فشرف الأدب والعلم أعظم وأبقى ، فهو سيقال فيه ذات يوم : رئيس الوزراء السابق ، بل قيل في الملوك الذين تركوا العرش : الملوك السابقون ومنذ زمن قريب قالوا في شاه ايران الذي كان من أعظم ملوك الأرض أيذا ومالاً وجاهاً وسلطاناً : الملك السابق . وكذلك يقال عن كل ذي منصب تركه : رئيس الجمهورية السابق . ووزير المالية السابق ، ووزير الثقافة السابق .

أما الأديب فلا يقال فيه : الأديب السابق ، والشاعر السابق ، والعالم السابق ، لأن الأدب ليس منصبا يغادر ، أو ثوبا يخلع ، وإنما صفة ملازمة لصاحبه ما تنفك عنه وإن تركه بل تبقى أبداً .

فالأستاذ محمد المزالي الأديب العالم باق مذكور . فشرف الأدب والعلم باق ، وشرف المنصب والحكم والسلطان زائل .

ولا شك أن الأديب عندما يتولى منصبا رفيعا ينفع أكثر من ليس بأديب ، وقد رأينا آثار بعض الأدباء الذين تولوا منصب الوزارة فكانت خير الآثار وأعظمها بالنسبة إلى من خلفهم أو سبقوهم من غير الأدباء .

ففى مصر تولى وزارة التربية والتعليم محمد حسين هيكل وطه حسين - رحمهما الله - فصنعا لبلدهما ولل فكر والخلق والوزارة نفسها من الخير ما هو كثير وجد كثير ، ومن الأعمال العظيمة ما هو جليل وجد جليل .

ورأينا فى بلادنا ما ترك الأدباء من آثار عندما تولوا منصب الوزارة مثل الأديبين الكبيرين محمد عمر توفيق وحسين عرب ، ومثل الكاتب المبدع الدكتور محمد عبده يمانى والشاعر غازى القصيبي .

ونشر حديث الأستاذ مزالى فى مجلة « الفكر » التونسية ونقلته عنها جريدة « المدينة المنورة » التى قدمه محرر الصفحة الأدبية الأستاذ سباعى عثمان بقوله :

« ونظرا لأهمية الآراء التى أدلى بها الأستاذ مزالى رأت المدينة الأدبية أن تلخصها عليها تكون منطلقا للمناقشات وإثراء الحوار » .

وقالت الجريدة : « كان السؤال الأول يتعلق بعضوية مزالى فى المجمع اللغوى العراقى وعضويته بعدة مجامع عربية أخرى بهدف عرض رأيه فى إمكانية تطوير هذه المجمع حتى يكتسب دورها فاعلية أكثر » .

هذا السؤال نقلته بنصه وكان أسلوبه غاية فى الركاكة والابتذال ، وفيه غلطات فى اللغة مثل : إمكانية وفاعلية وفى غير اللغة كقوله : المجمع اللغوى العراقى ، واسمه الصحيح المجمع العلمى العراقى .

وأجاب الأستاذ مزالى قائلا : « فيما يخص السؤال المطروح وبكل صدق لرى أن هذه

المجامع اللغوية العربية مدعوة لا إلى مضاعفة عملها فحسب . بل إلى تطويره لمزيد من القدرة على المشاكل الكبرى التى تعترض اللغة العربية اليوم الخ » .

أحسب أن هذه الصياغة ليست للأستاذ مزالى وإنما لمن أجرى الحديث معه . فهذه الفقرة ركيكة . وتركيبها مختل وغير متفق مع سنن العربية مثل « مدعوة لا الى مضاعفة » فاقحام « لا » هنا أدخل بهندسة بناء الجملة .

وأعتقد أن الأستاذ مزالى أرفع من أن يهبط إلى هذه الركافة . والذى بقى فى ذاكرتى مما قرأت له قبل بضع سنوات حينما كانت تصلنى مجلة « الفكر » ومن قراءة أحد كتبه أن له أسلوبا عربيا سليما . وهندسة بناء الجمل هندسة متقنة . وعربيته صحيحة .

وهذا ما يجعلنى أقرر أن صياغة الجمل المنسوبة إليه ليست من إنشائه . فهو لن ينحذر لغة وأسلوبا . لأنه من ذوى البيان والفصاحة .

ويقول الأستاذ مزالى فى واقع المجامع اللغوية : « واقع يتميز أو يتصف بعدة مشاكل وسليبيات منها : الصراع والتنافس أو على الأقل التواجد (كذا) بالمعنى المكانى بين لغة عربية وبين لهجات عامة بحيث ان اللغة العربية فى بعض الأحيان ليست هى اللغة التى يستعملها الشعب فى قضاء شؤونه اليومية . وثانيا إن اللغة العربية نفسها تتأرجح بين اللغة ذات المستوى الأدبى الرفيع أو المكتوب وبين ضرورة الاستعمال والوسائل السمعية البصرية بحيث إن هناك ضرورات لتطوير اللغة العربية للوصول إلى لغة عربية سليمة تقف وسطا بين اللغة المتقنة (لغة الخواص) وبين اللغة البسيطة التى يتداولها عامة الناس الخ » .

وأنا لا أرى صراعا بين الفصحى والعامية . وإذا كان هناك صراع بينهما فعلى أى شئ ؟ أتريد الفصحى أن تحل محل العامية فتكون لغة الكتاب والخطاب ؟ أو تريد العامية أن تزوي الفصحى وتحل مكانها فتكون لغة الكتابة والعلم كما هى لغة التخاطب ؟ .

لا تريد إحداها الحلول محل الأخرى . وإن كان المتعلمون يريدون ويعملون على

تقريب الشقة بين الفصحى والعامية ، وقد أخذت العامية تقترب من الفصحى ، فعامية كل قطر عربى الآن ليست العامية التى كانت قبل ثلاثين سنة أو أربعين أو خمسين سنة ، ففى المجتمع المحجازى المتحضر قد اختفت مئات الكلمات العامية والصيغ والكنيات والأمثال . وشاعت فى العامية كلمات حديثة وتعبيرات جديدة .

وكذلك الشأن فى الأقطار العربية الأخرى .

أما « أن اللغة العربية فى بعض الأحيان ليست هى التى يستعملها الشعب فى قضاء شؤونه اليومية » كما يقول الأستاذ مزالى ففى مقولته هذه نظر : أولا - ليست اللغة العربية الفصحى هى التى تستعمل فى الشؤون اليومية فى بعض الأحيان بل فى كل الأحيان غير مستعملة فى شؤون الشعب اليومية .

ثانيا : توهم عبارة الأستاذ مزالى أن وجود فصحى وعامية خصيصة تنفرد بها اللغة العربية : مع أن كل لغات الأرض متفقة مع العربية فى ذلك .

والأستاذ مزالى يعرف أن للفرنسية التى يجيدها فصحى للكتابة ، وعامية للتخاطب ، وليست لغة موحدة فى الكتابة والحديث .

ويؤكد الأستاذ مزالى ما زعمه وكأنه حقيقة أو كأنه خصيصة تنفرد بها العربية إذ يقول : « اللغة العربية نفسها تتأرجح بين اللغة ذات المستوى الأدبى الرفيع أو المكتوب وبين ضرورة الاستعمال الخ » .

والعربية لا تتأرجح بين الفصحى والعامية ، فالفصحى واضحة المعالم بينة السمات ، ذات قواعد راسخة ، ولا تُتَّهم بالتأرجح المشتق من الأرجوحة ، تميل مرة إلى ناحية وأخرى إلى أخرى ، ومعاذ الله أن تكون لغة كتابه العزيز كما زعم .

وما أدرى كيف يعين الأستاذ مزالى العليم بالعربية فى اتهامها وهو من خير من يعرفون مزاياها ومرونتها وخصائصها النادرة ومن أقوى من يدافعون عنها بأبطال أعدائها .

وإني لأدهش من مقولته هذه : « لغة عربية سليمة تقف وسطا بين اللغة المتقعة (لغة الخواص) وبين اللغة البسيطة التي يتداولها عامة الناس » .

فهو يتهم العربية الفصحى العالية لغة الخواص بالتقعر وما هذا الاتهام بصحيح . وأنا أسأله : ألعتك التي تكتب بها متقعة ؟ .

ثم إن لغة الخواص لغة فصيحة رائعة جميلة لطيفة شاعرة سهلة سمحة . وما ورد في كلام فصيح تقعر .

وما أدرى كيف تورط الأستاذ مزالى فوقع في قعر هذه الأبطولة ؟! إنه يعرف أن معنى قعر (على وزن هذب) في كلامه وتقعر (مثل تقدم) : تشدق وتكلم بأقصى قعر فمه . وقيل : تكلم بأقصى حلقه . والتقعر في الكلام : التشدق فيه . والتشدق : أن تلوي الشدق للتفصح . وتشدق بالكلام وفيه : توسع في الكلام من غير احتياط واحتراز . والتشدق : زاوية الفم من داخل الخدين .

فهل ينطبق هذا الوصف على « الخواص » ؟ كلا .

والتقعر في أساس معناه وصف للكلام وليس وصفا للكتابة إلا على سبيل المجاز . وكان العرب وما يزالون يعدون المتقعرين والمتشدقين والمتفيهقين والمستطعين والمتكلفين غير فصحاء ولا بلغاء . ويتتدرون بهم ويضحكون عليهم .

والخواص ينزهون ألسنتهم وأقلامهم عن حوشي الكلام . ولهذا خلا من القرآن الكريم وكلام سيد البلغاء محمد صلى الله عليه وسلم وكل البلغاء من الشعراء والكتاب .

ووصف الفصحى بأنها « اللغة المتقعة » إثم مبین يجب أن يستغفر الأستاذ مزالى ربه منه . فما توصف لغة القرآن خير لغات البشر وأعظمها بذلك الوصف الشائن المقبوح الذى لم يصفها به أخبث أعدائها بله أحد أصفائها .

ليس الإعراب نافله ولا حلية

بين الدعاة إلى إلغاء الإعراب أناس مسلمون ليسوا بأعداء الاسلام والعربية . ولكنهم أغبياء مقلدون . بينهم كاتب سعودي يدعى التجديد . وما هو بمجدد . وإنما يقلد التجديد تقليدا منكرا .

ويضاف إلى التقليد جهله المطبق بحقيقة الإعراب وجوهره في لغة القرآن . وبرهان هذا الجهل قوله :

« إن علامات الإعراب لا تمثل اللغة ولا تحدد مفهومها العلمي الذي تحققه اللفظة والجملة ، فالعلامة حلية - مجرد حلية - للكلمة المفردة ، وهي بهذا الاعتبار لا يمكن أن تكون عضوا في جسم اللغة ، لأن العضو إذا بتر يشوه الجسم وينقص منه ، ولكن الحلية يستحيل أن تكون لها هذه القيمة الذاتية ، فأنت لو جردت الغانية الحسناء من كل حلالها الخارجية حتى الذهبية والماسية واللؤلؤية لظلت كما هي غانية حسناء . وبشرا سويا تام الأعضاء متكامل الأجزاء لا نقص فيه . لأن الحلية لا ينقص الجسم المحلى بها بنقصها ولا يزيد بزيادتها^(١) » .

(١) نقلنا هذا الشاهد من مقال لهذا الكاتب منشور بصحيفة الرائد بالعدد الصادر في يوم ١٣٨٣/٣/٢٢ هـ .

هذا الكاتب لم يفهم حقيقة الإعراب ولا قيمته . وظن حركته منفصلة عن الحرف . ويمكن أن يتجرد منها . ويضيف الكاتب إلى جهله حقيقة الإعراب وقيمته فقدانه تصوّر حركة الإعراب .

الإعراب ليس حلية يمكن للكلمة أن تتجرد عنها . بل هي من بنيتها . وهى جزء منها لا يمكن فصل الحركة عن الكلمة . بل ذلك مستحيل . فالكلمة العربية لا تُنطق إلا بحركاتها .

وجمعى بالكاتب مجلس شاعر كبير . وكان يحسب أنه جاء بما لم يحىء به أحد . وظن أن ما جاء به شيء آية في العظمة والعبقرية . وردد المثل بالغاية وحلاها . فقلت له : من فضلك . جرد الكلمة من حركاتها كما تجرد الحسناء من عقدتها وسوارها . جرد قول الله تعالى : (قولٌ معروفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقة يتبعها أذى واللَّهُ غنيٌ حلِيمٌ^(١)) فُبُهِت .

وأما زعمه إن علامات الإعراب لا تمثل اللغة ولا تحدد مفهومها العلمي . فسلسلة من الجهالات . إن علامات الإعراب في لغتنا العربية من صميمها وهى التى تحدد المفهوم . ومن غيرها لا يتحدد مفهوم ولا معنى .

وعجيب أن يصدر هذا الزعم من كاتب يقرأ ويكتب حتى يجهل ما يعلمه العربي بالبداهة وبشيء يسير من العلم .

وأعداء الإسلام والقرآن عندما دعوا إلى إلغاء الإعراب كانوا على يقين من أن العربية لا تبقى بغير الإعراب . ولهذا دعوا إلى إلغائه لستهي الفصحى إلى الزوال . وليتم لهم بذلك نسف العربية نسفا .

أما هذا الكاتب فدفعه التقليد والجهل إلى أن يزعم ما زعم متوها أن زعمه المنكر تجديد وابتكار . وما هو إلا تحريف وجهل .

ولما كان هذا الكاتب مفتونا بالعقاد فنحن نستشهد بقوله الذى هو - فى ميزان الحق - فصل الخطاب فى مسألة الإعراب ..

يقول العقاد^(١) رحمه الله :

« عندنا وعند أنصار الفصحى أجمعين أن مسألة القواعد قد فرغ منها في عصرنا . فلا يجوز لنا أن نلغيها . ولا أن نستحدث بديلا يناقضها . وكل ما يجوز لنا أن نتوسع في تطبيقها . وأن نقيس عليها ما يماثلها . وأن نحرص على بقاء نحوها وصرفها . لأن لغتنا - خاصة - لا تبقى بغير الإعراب . ولا تصح المشابهة بينها وبين اللغات التي لا إعراب فيها ولا اشتقاق . لأن قوام اللغات القائمة على النحت ولصق المفردات غير قوام اللغة التي تختلف بالحركة في كل موقع من مواقع الحروف . ولا سيما الحروف التي يقع عليها الإعراب .

« فليست أواخر الكلمات وحدها هي التي تتغير معانيها بالحركة . بل يتغير معنى الكلمة بالحركة في أول الكلمة ووسطها حتى تبدل من المعلوم إلى المجهول . ومن الفاعلية إلى المفعولية . ومن التكلم إلى الخطاب . ومن التخفيف إلى التشديد بلفظه ومعناه .

ونحسب أننا لم نستخف بالحركة ودلالاتها القوية في اللغة العربية إلا بعد شيوع الكتابة وشيوع الظن بأن الحركة نافلة . لأنها لا تثبت مع الحروف . ولكن حروف العلة كانت كذلك لا تثبت في أول العهد بالكتابة وهي ما هي من القيمة الجوهرية في معاني الأصول والمستقات » .

فالحركات في الكلمة أصيلة أصالة حروفها . ولكن هذا الداعية ظن الحركات إضافة زائدة . لأنها لا تثبت في الكتابة رغبة في الاختصار . ولم يفتن إلى النطق . فما من كلمة إلا وحركات أحرفها من بنيتها . وجزء لا ينفصل عنها . بل يستحيل في العربية وجود كلمة مجردة من الحركات .

(١) مقدمة صحاح الجوهري . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

إلغاء الإعراب

الذين يحاربون الفصحى إنما يحاربونها لأنها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولغة الإسلام .

يحاربون الإسلام فحاربوا الفصحى وعملوا بكل ما يملكون هم ودولهم الصليبية من قوة لهدم لغة القرآن فجاءوا بدعوات مختلفة تلتقى جميعا في هدم الفصحى . ومن هذه الدعوات الهدامة : إلغاء الإعراب .

وسمة العربية الفصحى الإعراب ، وهو الذى يحدد المعانى ، ورُبَّ حركة فى الإعراب أو فى بناء الكلمة تغير المعنى من النقيض إلى النقيض فإذا ادعى عليك مُدَّعِ بَال ، وقلت : مالهُ عندى (بفتح لام ماله) فقد نفيت دعواه ، وإذا قلت : مالهُ عندى (بضم اللام) فقد اعترفت له ببال ، واختلف باختلاف حركة اللام الألفاظ مع المعانى ، فإذا فتحت اللام فقد صارت « ما » كلمة ، واللام المفتوحة لام جر ، والهاء ضمير فى محل جر . وإذا ضمنت اللام فتكون « مالٌ » من « ماله » خبر مقدم مرفوع بالضمة الظاهرة :

وهناك من الخلاف غير ما ذكرنا ينبج عن اختلاف حركة اللام فتحا أو ضا .
وحركات الإعراب ليست حلية تأتى من خارج الكلمة ، ولا فضلةً يمكن الاستغناء

عنها . بل الحركات بعامة أصيلة في الكلمة العربية . ولا يمكن نطق الكلمة العربية دون حركات الأحرف التي تتكون منها الكلمة . بل يستحيل تجريدتها من الحركات .

وأما حركات الإعراب فهي التي تأتي في أواخر الكلم . وتختلف باختلاف موقع الكلمة من الإعراب . فتكون تارة مفتوحة وتارة مضمومة وتارة مكسورة . وتختفى الحركة عند الوقوف ليحل محلها السكون . ولا يمكن تجريدتها منها .

وإلغاء الإعراب من الفصحى يقضى عليها قضاء مبرما . ويحيلها إلى لغة عامية . وعندما تتحول الفصحى إلى عامية يبلغ الأعداء غرضهم . ويُقضى على بلاغة العرب وفصاحتهم وكل قواعد لغتهم .

وليس قاسم أمين وحده الذى دعا إلى إلغاء الإعراب ولا سلامه موسى بل شاركها في هذه الدعوة الخطيرة غيرها من أعداء الفصحى . وقد جاءوا بالبديل الذى يحل محل الإعراب وهو السكون .

يقول سلامة موسى^(١) : « وقد اقترح (أي قاسم أمين) أن يُلغى الإعراب فتُسكن أواخر الكلمات » .

وقاسم أمين وسلامة موسى وأمثالهما من أعداء الفصحى شغلهم العداء حتى عن الواقع السهل 'دراكه فأسرفوا في دعوتهم إلى إلغاء الإعراب . وفاتهم أن الإعراب ضرورة لا بد منها لا يهمل المقصود من الكلام . فاذا نفذنا مقترحهم وسكننا أواخر الكلمات وقلنا : ضرب محمد علي لم نفهم أحمد هو الضارب وعلي هو المضروب ؟ أم أن محمدا وعلي اسم واحد ؟ ووقعنا في إشكال ولبس . واللغة لم تجب إلا للابانة .

والعامية كانوا أصح فهمها لوظيفة اللغة وأسلم وعيا وإدراكا من قاسم أمين وسلامة موسى ومن ذهبوا مذهبها وأدركوا المتبعية التي يقع فيها المخاطب إذا قيل له بالعامية التي تسكن أواخر الكلمات في الأغلب الأعم : ضرب محمد علي فتحاشوا هذا اللبس بأن وضعوا

(١) مقاله المنشور بمجلة الهلال سنة ١٩٢٧ م .

للفاعل قاعدة خاصة وهي تقديم الفاعل على الفعل فيقول : محمد ضرب عليّ .
وتسكين أواخر الكلمات يقضى على قواعد العربية وعلى البلاغة والفصاحة والبيان
الرفيع ، وعلى فن القول ، وعلى بحور الشعر ، وموسيقى الكلم وعلى كل ما فى الفصحى من
جمال .

والجملة التى تقرأ بالإعراب فى خمس ثوان تقرأ بالتسكين فى عشر ، وفى هذا إطالة لزمن
المتكلم . وهى إطالة لا ضرورة لها ، بل إطالة يمجها السامع ، ويضيق بها المتكلم .
وليحرب الدعاة فيلقى أحدهم محاضرة يلتزم فى إلقائها إلغاء الاعراب بتسكين أواخر
الكلمات ، إنهم لن يستطيعوا ، وإذا حاولوا فسيرهقون ألسنتهم وأنفسهم إرهاقا .

ومع أن قاسم أمين وسلامة موسى قاما بالدعوة إلى إلغاء الإعراب فإنهم لم يأخذا قط
أنفسهما بما دعوا إليه ، فما أكثر ما ألقيا من خطب ومحاضرات ! وكان كلاهما شديد التمسك
بالإعراب ، حتى أن سلامة موسى ما كان يقف على الكلمة بالسكون إذا خطب ، وقد
سمعته غير مرة يخطب .

فالدعاة إلى إلغاء الإعراب كانوا أول الكافرين بدعوتهم . وهذا برهان فساد الدعوة
واستحالة تطبيقها .



عودة إلى إلغاء الإعراب

إذا سألنا الدعاة إلى إلغاء الإعراب : لماذا نلغى الإعراب ؟ أجابوا : لأن عامة الشعب لا يحسن الإعراب ولا يعرفونه ، ومن يحسنه أفراد قلائل هم من الارستقراطيين .
ويدعى الدعاة أن رغبتهم في التيسير والتسهيل وتجنب الخطأ هي التى تدفعهم إلى أن يطلقوا دعوتهم إلى إلغاء الإعراب .

وكما أن دعوتهم إلى إلغاء الإعراب أبطولة من الأباطيل فكذلك كل زعماتهم .
ونحن نسأل : أصبح أن الذين يحسنون الإعراب هم الارستقراطيون ؟ إن سلامة موسى ادعى هذه الدعوة وسمى أدب العقاد وطه حسين أدبا ارستقراطيا أو أدبا « ملوكيا » حسب تعبيره .

وتلك من أباطيل سلامة موسى ، فندر بين الارستقراطيين فى عالمنا العربى من يحسن العربية ويكتب بها ، وطه والعقاد وأمثالهما من الكادحين ، من البروليتاريا على لغة الشيوعيين والاشتراكيين .

ومن أكاذيب الدعاة افتعال الغيرة وادعاؤها ، فما يصدق ذو عقل أن فولرس وولكوكس وأمثالهما من غلاة الاستعماريين ومن أعدى أعداء العروبة والإسلام يغارون على العرب ويريدون لهم الخير .

ولو صح ما زعموا لما شجعوا حكوماتهم على قهر الشعوب الضعيفة وسلب خيرات بلادهم ، ونهب أموالهم ، واستعبادهم واضطهادهم .

وإذا كان عذر هؤلاء الدعاة أنهم أعداء العرب ومن غير جنسهم أو من عبيد الغرب المسخرين اذا شاركوا سادتهم الدعوة من أمثال سلامة موسى فما عذر أناس من بلادنا عندما يزعم زاعم منهم أن الحركات فضلة يستغنى عنها .

إذا وافقنا - جدلا - على إلغاء الإعراب وهو حركة الحرف الأخير فما نحن فاعلون في الحركات التى تسبق حركة الإعراب ؟ من المستحيل في اللغة العربية تجريد أحرف الكلمة من الحركات التى هي جزء أصيل في بنية الكلمة .

وإلغاء الحركات من الكلمة مستحيل ، أما إلغاء الإعراب فمممكن ، ولكن عندما نلغيه من الكلام الفصيح نجعله كلاما عاميا ، وعندما نلغيه إنما نستبدل بحركة الإعراب السكون . وهذا ما نفعله عندما نقف على آخر الكلمة ، ولكن هذا الامكان عسير أشد العسر إذا ألغيناه . بل متعذر . وعندما نلغيه من الشعر العربي نلغى الشعر نفسه ، لأنه يتحول إلى ثر ركيك مضطرب . وعندما نلغيه من القرآن الكريم لا يكون حينئذ قرآنا . وإن إلغاء الإعراب من القرآن ردة والعياذ بالله .

وبديهي أن القرآن الكريم حجة العربية ومعجزتها العظمى ، ولا يسع البشر جميعا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن ، بل لا يمكنهم أن يأتوا بآية من مثل آياته .

فاذا ألغينا إعراب القرآن تجرد من المعجزة ومن كونه حجة العربية ، وفقد كل سببه . فالقرآن يُتلى كما تلقاه نبي الهدى من الله تبارك وتعالى ، وإن تغيير حركة في كلمة من كلماته حين التلاوة عمدا وقصدا يُقذفُ بمن يفعل ذلك إلى حظيرة الكفر والالحاد قذفا .

وإذا كانت الأمانة تقضى على الانسان ألا يحرف نصاً آخر فإن من الفرض المحافظة على كل حرف في القرآن محافظة تصون له قداسة الوحي .

وإن من الجرأة على الحق وعلى كتاب الله الدعوة إلى إلغاء إعرابه . وهي جرأة لا تصدر إلا من كافر لئيم . أو من مرتد أثيم . وما صدرت إلا من صليبيين جاهرُوا بعداء الفصحى والقرآن بخاصة .

وما كانت اللغة العربية الفصحى فصحي إلا بالإعراب الذى هو عمودها . ومتى فقدت الإعراب فقدت العربية وجهها وحقيقتها ، والإعراب عمود العربية أو عمادها ، ومن ترك إعرابها فقد هدم العربية .

ودعوة إلغاء الإعراب دعوة ولدت ميتة ، ولولا التاريخ لما ذكرها الذاكرون ، ومع أنها ميتة فإن دعاة من الكافرين أو من الجاهلين يرددونها بين حين وآخر بقصد الإساءة إلى لغة القرآن وإلى القرآن نفسه .

أما الجهلة من العرب المسلمين فيرددون الدعوة يتوهمون أنهم بذلك من المجددين . وما هم إلا من أغبياء المقلدين .



أبناء هذه الأيام لا يعرفون الأمثال

لكل لغات العالم ومنها العربية آدابها ومأثوراتها اللسانية والبيانية التي منها الأمثال التي تعد من أصدق فنون الأدب . وأصفي المرايا التي تعكس عادات أهلها وثقافتهم وحياتهم ومهنتهم ومدى حضارتهم وسلامة أذواقهم أو فسادها .

فمثل : لا يفلّ الحديد الا الحديد يدل على حضارة أهله ، وأنهم يعرفون الصناعات المتخذة من الحديد .

ومثل : ما حك جلدك مثل ظفرك . يدل على أن أصحابه قليلو النظافة ، ولهذا يكون جلدهم .

والمثل البنغالي : الراقصة العرجاء تتهم المسرح بالانحدار . يدل على رهافة الإحساس وحسن الذوق والاهتمام بالفن .

والمثل الصيني : ألف ريال لا تشتري بها ضحكة واحدة . يدل على التفاؤل والزهد في المال .

والمثل العامي المحجازي : أكل وراحة يربو ملاحه . يدل على الترف والنعيم .

والمثل غير الحكمة والكناية ، وإن كان يشملهما أحيانا ، فهو القول السائر بين الناس
المثّل بمضربه ؛ أي الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام .

والفاظ الأمثال لا تُغيّر تذكيرا أو تأنيثا وإفرادا وتثنية وجمعا . بل يُنظر فيها دائما إلى مورد
المثل ، أي أصله . والمثل - أيضا - : الحجة .

وأما الحكمة فهي الكلام الموافق للحق ، وصواب الأمر وسداده . والتفكير الذي يدل
على السداد ، وكل كلام وجيز يُجمع فيه بعض تجارب الحياة النافعة .

والحكمة في معناها العملي : القدرة على حل المشكلات ، وهناك معان للحكمة منها :
العقل ، والعدل ، والنصيحة ، والعلم ، والحلم .

والكناية - في اللغة - : ما يتكلم به الانسان ويريد به غيره ، وفي الاصطلاح : لفظ أُريد
به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى ، مثل : علي طويل النجاد ، والنجاد : حمائل
السيف ، وطويل النجاد : طويل حمائل السيف ، وهذا غير مقصود ، وإنما أُريد أن عليا
طويل القامة .

وطبيعى أن طول النجاد يستلزم طول القامة ، بل كل منها ملازم للآخر .

فالمثل والحكمة والكناية أقوال سائرة ، ولكن لكل منها تعريفه الذى يميزه عن
الآخرين ، إلا أن المثل قد يضم الحكمة والكناية اللتين لا يمكن أن تضماه .

وفي جيل أبى واخوتى الذين كانوا يكبروننى كانت أحاديثهم الدارجة لا تخلو من
الأمثال ، وكذلك جيلنا ، كان حديثه لا يخلو الأمثال .

أما أجيال هذه الأيام في كل أقطار العروبة لا يعرفون الأمثال ، ولهذا خلت كل
أحاديثهم منها ، ولا يفهمون معنى المثل إذا طرق سمعهم ، سواء أكان المثل فصيحاً أم
عامياً .

وكثير من الشباب من خريجي الجامعات لا يعرفون الأمثال الفصيحة ، لأنها لا تُدرّس ،
فاذا جاء المثل في كتاب أو مثال وشرحه الأستاذ للطلاب عرفه وقد ينساه لأن عدوى ظاهرة

انزواء الأمثال من الألسنة ومحائثها من الذاكرة أصابت الشباب جميعا .

وليس هذا الأمر بمقصود على شباب بلادنا ، بل هي ظاهرة عامة بين شباب العالم العربي كله .

ونحن أصابتنا العدوى أيضا ، فلم نعد نستعمل الأمثال في أحاديثنا ، لأن من نحدثهم من الشباب لا يفهمون معانيها ، فنضطر إلى إخلاء أحاديثنا منها حتى لا نستعمل ما لا معنى له . وإن مخاطبة الناس على قدر عقولهم من مكارم الأخلاق .

وهكذا خلت اللغة العامية من الأمثال فخلت من جانب رائع من جوانبها الأدبية .

وألف بعض الأدباء في مختلف أقطار العربية كتباً في الأمثال العامية جمعت طائفة كبيرة منها ، وأذكر على سبيل المثال الأستاذ حسين عبد الله محضر - رحمه الله - الذي ألف كتاباً لطيفاً في أمثال الحجاز العامية ، وإن كان موته ترك فراغاً لأمثال عامية كثيرة في حاجة إلى من يجمعها وينوئها فيملاً ذلك الفراغ .

وأنا وإن كنت خصماً للعامية إلا أنني أستثنى من خصومتى إياها الأمثال ، لأنها مرآة تعكس حياتنا الاجتماعية والأدبية والثقافية وعاداتنا وتقاليدها التي لم ندونها فدوتها الأمثال .

وكثير من أمثالنا العامية من الفصحى حرفتها العامية ، وعندما يقوم الدارسون بجمع الأمثال العامية الحجازية ودراستها ومقارنتها بالأمثال الفصيحة فسيجدون طائفة كبيرة منها في العامية التي أخذت من الفصحى آلاف الكلمات ، وحرفت بعضها كما حرفت ما أخذت من الفصحى .

وذات سنة عنت لى فكرة جمع أمثال الحجاز العامية ومقارنتها بأمثال شعوب الأمة العربية كالعراق ومصر والأردن والسودان وسوريا والبحرين وتونس ، ثم ذكر ما يقابله من أمثال الفصحى ، وذكرت من أمثال بعض الأقطار الإسلامية والأوربية طائفة طيبة ، وقطعت في العمل شوطاً ثم تركته ، ثم ضاعت الأوراق ففقدت بحثاً لطيفاً .

وفي بلادنا من جمعوا الأمثال العامية ، فبعض أدباء نجد جمعوا أمثالها ، وكذلك الحجاز ، ومن الدراسات في باب الأمثال ما كتبه الدكتور عمر الطيب الساسي في الأمثال الألمانية مع ذكر ما يقابلها في العربية .

ودار الحديث غير مرة في الأمثال وكان الدكتور أحمد خالد البدي حاضرا ، وذكر من حافظته طائفة من الأمثال الفارسية وما يقابلها من الأمثال العربية الفصيحة ، ولكنى لا أدرى إذا كان ترجم الأمثال الفارسية ومعانيها وما يقابلها في العربية ، وإذا لم يقم بذلك فأرجو أن يقوم به ، لأن في ذلك خدمة للأدب العربى .

والدكتور البدي حصل على الدكتوراه في التاريخ من إحدى جامعات طهران ، أما الدكتور الساسي فقد نال الدكتوراه من إحدى جامعات ألمانيا الغربية .

وما دام شباب هذه الأيام منصرفين عن الأمثال كل الانصراف فإن من الخير تدوين الأمثال العامية في الحجاز حاضرة وبادية قبل أن يمحو النسيان منها ما نحن بحاجة إلى الاستدلال به على لهجات أهل الحجاز وما فيها من الغريب الفصيح ، وعلى العادات والقيم الأخلاقية وآداب اللياقة والسلوك ، وعلى ثقافة العامة وأفكارهم وحياتهم الاجتماعية ، وعلى التطور وما حدث في المجتمع من تغيير كبير قضى على كثير من الموروثات الأصيلة .

ونحن الذين أدركنا الحياة منذ خمسين سنة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية (١٣٥٩ هـ / ١٩٣٩ م) بسنوات ندرك هذا التغيير الذى تناول مجتمعا من جميع نواحيه الفكرية والثقافية والاجتماعية ، حتى أنسانا الجديد ما سبقه .

هندسة بيوتنا تغيرت ، فنقلنا هندسة الغرب التى لا تصلح لبلادنا المسلمة ، فعلى سبيل المثال : الشرفات لا تتفق مع ديننا ، فلا نحن الرجال نستطيع أن نجلس فيها حتى لا نتطلع إلى الناس من نوافذ بيوتهم ، ولا النساء بمستطيعات الجلوس فى الشرفات لنظام الحجاب المتبع .

وقد فطن العامة لمثل هذه الأمور فقالوا في أمثالهم : كُلُّ عِنْدَ الْعَرَبِ صَابُونٌ ، ودردب
وليس كُلُّ كُوَيْسٍ .

وأنا لا أُمْنَعُ الشَّرْفَةَ فَهِيَ شَرَفٌ لِلْبَيْتِ ، وَلَكِنْ لَا نَعْدَمُ مِنَ الْإِتِّفَاعِ بِالشَّرَفَاتِ إِذَا كَانَ
لَدَى مِهْنَدَسِينَا فِكْرٌ مُبْدِعٌ وَبِرَاعَةٌ وَأَلْمَعِيَّةٌ .



لماذا أهمل أبناء هذا الزمان الأمثال ؟

من المقررات عند العارفين أن الأمثال سلفية ، أي تنسب إلى السلف تتحدر منه إلى الخلف على تعاقب الأجيال .

وكان أبناء جيلي يكثرون في أحاديثهم من الأمثال العربية الفصيحة ومن الأمثال العامية .

فالحجازي يستعمل أمثال الحجاز العامية ، ويصنع صنيعة ابن كل قطر ، فتنحدر أمثال العراق على لسان العراقي ، وأمثال تونس على لسان التونسي ، وأمثال مصر على لسان المصري ، وهكذا .

وجيلنا كان كثير الاستعمال للأمثال ، ومن سبقونا كان أكثر حديثهم أمثالا وحكما وكنائيات ، وكان الجميع بارعين في ضرب الأمثال ، كما كانوا حاضري البديهة في استحضارها .

ولما كانت مكة حرسها الله غاصة في مدار السنة بأبناء الأقطار الإسلامية فقد كانوا هم - أيضا - يستعملون في أحاديثهم أمثال بلدانهم ، ومن تعلم العربية كان يترجم أمثال بلده ، فالصيني يسوق في حديثه أمثال الصين ، وكذلك الفارسي والهندي والبنغالي والاندونيسي والتركي والتركستاني والبخاري .

ولذلك شاعت على السنة أهل مكة أمثال الأقطار الإسلامية . وعسر التمييز بين أمثالها الفصيحة والعامية . وكثير منهم ما كانوا يميزون . لأنهم لم يكونوا في الأغلب الأعم من العلماء والمثقفين . أما العلماء والمثقفون فكانوا يميزون ويشيرون إلى الفصيح والعامي .

ولما كان لي أصدقاء من أبناء الأقطار الإسلامية ومن أقطار العروبة فقد حفظت طائفة طيبة من أمثالهم . وكنت استشهد بما تقتضيه المناسبة . فإذا كنت في موقف اقتضاني ضرب مثل . ولم أجد في الذاكرة مثلاً حجازياً ووجدت مثلاً عراقياً أو تونسياً ضربته .

وذات مرة استشهدت بالمثل التونسي : « من صندوقك تلبس » وقلت في حديثي : كما يقول المثل التونسي . وكان زملائي يسمعون لأول مرة فسألوني عما إذا كنت متأكداً . فأجبت بالإيجاب . وسأل بعضهم من ورائي أحد الحجاج التونسيين فأكد له أن المثل تونسي أصيل .

أما شباب هذه الأيام فقد خلا حديثهم من الأمثال . ويجتمع بى كثير من الشباب منذ ربع قرن ومازالوا يترددون على . ولم أسمع كل هذا الزمن من أحد منهم مثلاً واحداً . لا من الفصيح ولا من العامي .

ولم يقتصر اختفاء الأمثال على شباب الحجاز أو نجد أو الأحساء أو عسير . بل العدوى عامة . فكل شباب العرب سواء في اختفاء الأمثال من ألسنتهم . ونحن نجاربهم في الحديث فيندر أن ينحدر على ألسنتنا مثل إلا إذا كنا في مجلس يضم أبناء جيلنا . فحينئذ تتطير في جوه الأمثال .

فلماذا اختفت الأمثال من أحاديث جيل الشباب في كل أقطار العرب والمسلمين ؟ . وأحسب أن الأمثال اختفت من أحاديث الشباب في كل أقطار العالم . فقد سألت أمثالي في بعض بلدان أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا فذكروا أن الأمثال لا وجود لها عند الشباب في تلك البلدان .

ولعل من أسباب اختفاء الأمثال من أحاديث الشباب أن الأمثال سلفية . أي من كلام السلف . والشباب مشغول بحاضره والتفكير في مستقبله والاستعداد له عن السلف والماضى . بل هو يرى أن الماضى قد انتهى . ولا رجعة له . فلا جدوى منه .

وكان الناس في جيلنا ومن سبقونا لديهم الأناة والوقت والحاجة إلى الأمثال يؤيدون بها آراءهم وتجاربهم ، ويستدلون بالأمثال على صحة التجارب والآراء ، فعندما يذكر حكايته مع إنسان أحسن إليه فقابل إحسانه بالاساءة أيد قوله بالمثل العربي : جزاء ، سئار .

وهكذا تنحدر الأمثال على الألسنة بسهولة وكأن انحدارها غير إرادي .

وكان الناس يستشهدون في أحاديثهم بالأمثال الفصيحة والعامية ، وكان العامة جميعا يستعملون الأمثال العامة بكثرة في كل أحاديثهم وأحوالهم ، في الحرب والسلام ، وفي الفرح والحزن ، وفي الميلاد والوفاة .

وخلو أحاديث الشباب قاطبة من الأمثال مردود إلى تجاهلهم السلف والاستخفاف بهم ، وعدم وجود تجارب ذات أثر ، وعدم نضجها عند الشباب ، واشتغال أذهانهم وأوقاتهم بما أحدثته الحضارة التي شغلت الناس شغلا ، وسمة السرعة التي طوت كل شيء ، فما كان يتم في شهر صار يتم في سويعات ، وما كان يتم في ساعات صار يتم في دقائق .

كان السفر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة - حرسها الله وزادها شرفا وتعظيما - يتم في عشرة أيام بالابل ، وكان المسافرون ينعمون بالراحة والعلم وطهي الطعام بأنفسهم والسمر ، وعرفوا الطرق والمنازل بين المدينتين المقدستين ، ثم جاءت السيارة قبل « سفلة » الطريق فطوت المسافة في يومين ، وكان التزود قد اختصر عن السابق ، ثم انطوت المسافة في سويعات خمس أو ست تطوى المنازل طيا ، ولا تقف السيارة إلا دقائق للتزود بالوقود .

ثم دخلت الطائرة في المواصلات فاختصر الطريق إلى دقائق لا تمكن المسافر من التلذذ بالحديث .

فأي مثل ينحدر على الألسنة في هذه الأحوال ؟ قد يبدو مثل أو إشارة بعد الرحلة فيقول أحد الناس : وصلنا في لمح البرق .

وعدوى اقتضاب الزمن سرت الى الأحاديث فاقْتُضِبت ، فلم يعد هناك مجال للإطناب ، وكل منا قد طوته السرعة طيا ، فقد كنت - وغيرى مثلى - أجلس إلى أولادى

أتحدث إليهم ويتحدثون إليّ ، وأقص عليهم القصص والحكايات ، وفي ليالى الجمع والعطلة الدراسية تطول الحكاية ساعة أو ساعتين .

أما الآن ، فقد سرق الراديو والتلفزيون وقت الوالدين والأولاد على السواء ، فهم لا يتحدثون إلا « كلمة ورد غطاها » لأنهم جميعا مشغولون بالسماع أو المشاهدة .
فأي مثل يمكن أن ينطلق في مثل هذا الجو ؟.

وما أظن أن عصر الأمثال سيعود مع طغيان هذه الحضارة وانتشارها وشغلها الناس حتى طوتهم في « عجلتها » السريعة .

وإذا كنا في بداية عصر الصواريخ والكواكب مشغولين عن الأمثال فإن ما سيأتى من الأيام ستكون سيطرة الحضارة الآلية على العالم أشد ، وحينئذ سننسى أنه كان فى الآداب واللغات أمثال .

وحقيق أن الإنسان فى دور الشباب، عندما يكون فى الخامسة والعشرين من عمره لا يضرب الأمثال فى أحاديثه إلا نادرا كل الندرة . لأن ضربها يقتضى وجود تجارب كثيرة عند ضارب المثل لم تتوافر عند الشباب ، فإذا بلغ الأربعين يكون محصوله من التجارب وفيرا . وتكون قد نضجت ، وحينئذ يضرب الأمثال .

فهل إذا بلغ الشباب فى عصرنا سن الأربعين يستعمل الأمثال فى كلامه ؟ أعتقد أن بلوغه الأربعين لن يسمح له بذلك ، لأن الكبار من أمثالنا قد ندرت الأمثال فى أحاديثهم فيما بينهم ، فإذا كان الحديث فى مجلس يضم الشباب والشيوخ فقد تنعدم الندرة .

والأسباب التى كانت تدعو فى جيلنا وجيل آبائنا وفى الماضى إلى ضرب الأمثال قد زالت فطبعي ألا يرتبط ضربها بالأعمار .

ولا أذكر ميلاد أمثال فى جيل أبى ولا فى جيلى . وهذا طبيعى ، لأن الأمثال وإن كان منشؤها من الأفراد تصبح وكأنها منتمية إلى الشعوب ، فهى خلاصة تجارب الأمم .

ومحصول الأجيال . ولهذا لم تتوافر أسباب مولد الأمثال لجيل أبى وجيلى فخلا عصرنا منها .

وإذا كنا فى هذه الأيام طوينا صفحة الأمثال فمن المقرر ألا تولد أمثال جديدة . لأنه ليس هناك حمل يضمن بقاء النوع . فلا غرابة أن نتفقد الأمثال فنفقدها من الخطاب والكتاب على السواء .



المسرح واللغة العامية

رحم الله الدكتور طه حسين وأسكنه الجنة ، فقد سمعت له قبل وفاته بسنتين حديثاً بالإذاعة المصرية زارته في منزله الذي سماه « الرامتان » تشية « رامة » وبنيناه على الحكاية ، لأن طه حسين سمي منزله بمثنى الرامة .

زارت الإذاعة المصرية عميد الأدب العربي وسألته : كيف يقضى أوقاته بعد أن ألزمته الشيخوخة سكنه فقال : في تلاوة القرآن الكريم وسماحه من الإذاعة .

فسألته أسمع التمثيليات الإذاعية فأجاب : إذا كانت بالفصحى .

فسألته عن السبب فقال : إتنى لا أحب أن أسمع غير الفصحى ، وإن العامية تضايقتنى الى حد الاشمنزاز والتقرز .

وأخذ الدكتور طه حسين يهاجم العامية ويحمل عليها بعنف لا مزيد عليه ، ودعا إلى اتخاذ الفصحى فهي وحدها لغة الأدب والعلم والفكر .

وبعض الكتاب يظنون أن المسرح لا يصح بغير العامية ، ومن هؤلاء الكتاب الأستاذ مصطفى زين الذى كتب فى « المجلة » السعودية مقالا ذهب فيه إلى أن « الأفضل الإبقاء

على مسارح عربية عدّة بلهجات مختلفة من توحيدها تحت سلطة اللغة الأم فنخسر عندها التنوع ونخسر الحرية التي تنتهجها اللهجات العامية .

وهذا الذى زعمه يدل على جور فى الحكم . فاللهجات العامية لا تتيح الحرية ، وإنما تتيح الفوضى ، وليست الفوضى حرية .

حرية العامية تشبه حرية القاتل الذى بيده سكين يطعن به الضحية كيفما يتفق له الطعن ، أما الطبيب الجراح فهو الذى تمكنه الحرية المكبوحه بالعلم والدراية من القطع فى حرية مأمونة .

الحرية يملكها القادر على الفصحى ، أما حرية العاجز عن الفصحى فما هي إلا فوضى العامية . وليست هذه الفوضى التى فهمها الكاتب على أنها حرية إلا سمة العجز والمرض وليست آية على الصحة والاعتدال .

والمسرحية المحلية محصورة فى بلدها ولا يفهمها غير أهلها ، فلو عُرضت على السعوديين مسرحيةً بلغة الجزائر العامية لما فهموها ، ولو كانت من نوع « الكوميدي » لما ضحك لها أحد منهم ، لأن السعوديين لا يفهمون عامية الجزائر .

فالعامية سجنية فى بلدها وغير مفهومة عند غير الناطقين بها ، وأما ما حسبه السيد مصطفى زين تنوعاً فما هو به فى شيء ، فكل اللهجات العامية بالنسبة للفصحى عامية واحدة ، لأنها جميعاً فى درجة واحدة ، وتعددها ليس تنوعاً .

وإذا كانت لغة المسرحية هى الفصحى اتفقت كل شعوب الأمة العربية فى فهمها ، وحجتنا الحرمان الشريفان . يخطب فيها بالفصحى ، ويسمع الخطبة من كل أقطار العرب والمسلمين آلاف بل عشرات الألوف من الناطقين بالعامية العربية ، وفيهم من غير العرب من تعلموا العربية ، وكلهم يفهم خطبة الجمعة يلقيها الإمام بالفصحى .

ولو ألقاها الإمام بعامية الحجاز أو نجد لما فهم الخطبة من هم من غير أبناء هذه الديار . ولو ألقاها بالعامية هانت الخطبة وفقدت هيبتها ، لأنها أقيت بلغة لا حرمة لها عند

أصحابها ، إذ يسمعون كلاما « عاديا » رخيصا متبذلا هو كلام الباعة والسوق والشارع والبيت والصعاليك والسوقة والأطفال والجهلة والأميين .

إنك تلبس لكل حالة لبوسها ، فلو ذهبت للقاء الملك أو مضيت إلى المسجد الحرام أو المسجد النبوي بزى الكناس أو « الزبال » لشعرت أنت نفسك بالحقارة والهوان . وعندما يرتدى الكناس ملابس نظيفة ويتزيا بزى الوجهاء شعر بإنسانيته ، ويظهر بين يدي نفسه وكأنه إنسان محترم ذو قيمة .

وكذلك اللغة ، فإذا هبط المسرح والمثلون الى اللغة العامية فإن العامة أنفسهم الذين يشهدون المسرحية يحسون بهوانها . لأنهم يسمعون لغة السوق تعرض عليهم ، وهم فى غنى عنها . لأن لديهم هذه البضاعة المزجاة .

أما الفصحى فسحرها يتجدد . وتحمل على الدوام أسباب بقائها وسحرها وجمالها . فأنا أقرأ الفصحى منذ نصف قرن ولم تتبدل أو تسقط كرامتها وهيبتها عندى . بل تزداد نفاستها على مر الأيام .

فالفصحى هي لغة المسرح إذا أريد للمسرحية الذبوع والانتشار والبقاء والتجدد . أما العامية فتحصر المسرحية فى الزمان والمكان . فعند سبعين عاما مثلت على المسرح فى القاهرة روايات بالعامية . ولو أعيد تمثيلها اليوم لما وجدت ما سبق أن وجدته . بل لانصرف عنها أبناء هذا الزمان . لأن عامية القاهرة وعامية كل بلد قبل سبعين سنة ليست بعامية هذه الأيام فى الأسلوب وفى بعض الكلمات . فمئات الكلمات العامية التى كانت تستعمل قد اختفت . وحلت محلها كلمات أخرى جديدة .

فخير للمسرح أن يتخذ الفصحى لغته للروايات التى يريد عرضها إذا أراد لها البقاء وتجدد الحياة والذبوع والانتشار . لأن معجزة القرآن تحل بركاتها على الفصحى فتبقى على الدوام .

الضعف في العربية

منذ زمن بعيد وأنا أدعو إلى العناية بلغتنا وتعليمها وإصلاح مناهجه التي ساءت ، فنجم عن الإساءة ما يسيء .

وعم اللحن وشاع حتى لكأن حملة أعلى الشهادات الجامعية لا يعرفون النحو والصرف ، أما البلاغة فيجهلونها ، ولهذا صرنا نقرأ في الصحف والكتب ونسمع من الإذاعة والتلفزيون كلاما ركيكا يضاف إليه اللحن الكثير .

وأحضر صلاة الجمعة في بلدان العالم العربي فأسمع خطبة الجمعة ، فإذا الخطيب يغلط كثيرا .

فإذا كان هؤلاء العلماء الكبار يلحنون فلا يلام التلامذة إذا لم يقيموا القراءة ويحسنوها ، لأن معلمهم ضعاف ، ومنهم من لا يحسن التفرقة بين الاسم والفعل ، وبين الحروف والضائر ، ويجهلون الإعراب جهلا مطبقا .

ومنذ خمس عشرة سنة أو أكثر أثرت حملة على منهج تعليم العربية وأثبت عقمه ، ودعوت إلى إصلاحه والعناية بتعليم قواعد العربية فلم تجد الدعوة سميعا ، وازداد ضعف الطلاب في لغتهم حتى لم نعد نسمع أو نقرأ غير الغالط الكريه .

ومنهج تدريس النحو على الطريقة المتبعة بالبند بالمثل حتى إذا انتهى من عشرات الأمثلة ساق القاعدة .

وأُتبع هذا المنهج في مدارس العالم العربي منذ أربعين سنة ، ومنذ اتباع هذا المنهج حتى اليوم وملايين الطلاب العرب جدُّ ضعاف في العربية ، لا يقيمون سطرا مما يقرأون ، مع أن بعض ما يقرأون مضبوط بالشكل .

وهذا المنهج على عيوبه الكثيرة يفترض في الطفل كمون النحو في نفسه ، وكأنه غريزة من غرائزه الكامنة فيه ، كما يفترض فيه العلم بمصطلحاته قبل أن يسمعها .

فالطفل في الثامنة أو التاسعة من عمره يبدأ في تعلم النحو ، وهو خالي الذهن عن هذا العلم الجديد عليه ، وإذا هو يفاجأ بباب « الجملة المفيدة » ثم تقسيم الكلمة وهكذا . ولا يبدأ الكتاب بالقاعدة يعرفها ويحدد حدودها ، وإنما بالأمثلة التي تتضمن كثيرا من أبواب النحو .

وطريقة السلف أقوم في تعليم النحو ، فهم يعرفون النحو ، ويذكرون فائدة تعليمه ، وأن القصد منه ديني قبل كل شيء ، لأنه يحرس كتاب الله من وقوع قارئه في اللحن .

ومن العسير على الأطفال تصوُّر المعانى المجردة إلا إذا كان معلمه بارعا مقتدرا ، وإلا نشأوا على الضعف ، وعجزوا عن القراءة السليمة ، وعن تطبيق الأمثلة على القواعد .

وإن إعطاء الطفل كتيبة من الأمثلة في باب من أبواب النحو ليستخرج منها بمعونة المدرس أول ما يبدأ أمر شديد الصعوبة .

فالطفل في هذه الأيام يواجه علم النحو وهو لم يختم القرآن كله ولم يجوده ، ولم يستظهر منه سورا كثيرة ولا بعض الأجزاء ولا شيئا من الشعر أو الحديث .

ومادام محروما من ذلك فإن من العسير أن يتمثل النحو ويهضمه ، مع أن وسائل الإعلام الحديثة تساعد على استيعاب كثير من المعلومات ، وتزوده بثروة لغوية طيبة ، وتعينه على

تنمية معلوماته المتجددة التى يستشرها ؛ وعلى تنمية ذهنه أيضا .

وإن إغفال منهج تعليم الطفل لقراءة القرآن كله وتحفيظه بعضه قد أفقده تعود البلاغة العالية حتى ساء تعبيره كتابا وخطابا عندما تخرج من الجامعة بشهادة عالية .

ولو عود المنهج الطفل قراءة القرآن كله واستظهار بعضه لتيسر له فهم كثير من علوم العربية التى أنشئت لدراسة القرآن وفهمه .

أما أن يكون القرآن مادة من المواد التى يتعلمها ، ويكون النحو كذلك فإن شأن القرآن يهبط إلى الدروس الأخرى ، لأنه بذلك يتساوى بغيره ، وستزاحمه تلك الدروس .

وكان حريا بالمنهج أن يخصص سنتين لتعليم الطفل القرآن يتلقاه من معلمه حرفا حرفا ، وبذلك تخرج الحروف من مخارجها حتى أن أصعب الحروف كالضاد والذال والهاء والطاء تصدر من مخارجها واضحة سليمة ظاهرة .

وعندما يلحق المعلم تلميذه الطفل القرآن حرفا حرفا وكلمة كلمة يتعلم النطق الصحيح الفصيح ، وتتعود ملكة البلاغة العالية كما تتعود أذنه سماع موسيقى القرآن الخاصة به دون كل كلام العرب ، ويتعود الطفل منذ نعومة أظفاره أرقى أسلوب فى العربية على الإطلاق .

وتفرغ الطفل سنتين للقرآن الكريم يعاشره ليل نهار ستمر هذه المعاشرة تربية ذوقه وتزكية ملكاته ، وتترك فى نفسه أثارا تعمق وتنتشر على مر الأيام ، وحينئذ يكون فى طوقه استعمال الكلمة الصحيحة استعمالا صحيحا وتركيب الكلمات فى جمل .

ومادة المحفوظات ومادة المطالعة ومادة الإنشاء كانت معواناً لفهم الطفل النحو ، كما كانت تزوده بثروة من اللغة ، وتمكنه من إنشاء الجمل ، وتحبى فيه ملكاته ، وتنمى خياله .

واختلف المدرس والكتاب ومنهج تعليم العربية فى هذه الأيام عما كان قبل أربعين سنة فى كل أقطار العروبة .

فأنا كنت تلميذا بالابتدائية منذ خمسين سنة بمكة المكرمة حرسها الله ، وكان من يعلمنا النحو أحد أئمتة فى الحجاز هو « شيخ بابصيل » وكان الكتاب الذى ندرسه فى السنة

الأولى الابتدائية هو الجزء الأول من كتاب « الدروس النحوية » تأليف حفنى بك ناصف
ومحمد بك دياب والشيخ مصطفى طوموم ومحمد بك صالح .

وكان أستاذنا المكى الحجازي « شيخ با بصيل » إماما جليلا فى علوم العربية ، وكان هو
الذى يعلمنا الإنشاء والمحفوظات والمطالعة ، ولم يفارقنا فى سنوات الابتدائية الأربع ، حتى
إذا تخرجنا من المدرسة الابتدائية إلى المعهد العلمى السعودى كان شيخنا قد سبقنا إليه ،
فصار يعلمنا الصرف والبلاغة حتى تخرجنا من المعهد العلمى السعودى .

وخلال دراستنا بالمعهد أخذنا على شيخنا الجليل ألفية ابن مالك واستظهرناها ، ودرسنا
عليه شرح ابن عقيل ثم حاشية الصبان على الأشمونى .

ولكن ما تلقيته من شيخنا فى السنة الأولى الابتدائية ثبت فى ذهنى حتى هذا اليوم .
ولى أولاد بالمرحلة الابتدائية والثانوية ، وهم وكل زملائهم ضعاف فى النحو ، والكتاب
ومنهج تأليفه وتدرسه عقيان ، ولهذا كان الطالب العربى ضعيفا أشد الضعف فى كل علوم
العربية ، فلما تخرجوا من الجامعات تخرجوا وهم ضعاف لا يحسنون العربية .

وكثر دعات تبسيط النحو وتيسيره ، ووضعوا للنحو المبسط الميسر منهجا ألفوا عليه
الكتب فعالجوا الضعف بمضاعفته .

وما له علاج إلا العودة إلى منهج السلف وكتب السلف ، ويجب أن يسير أبناؤنا على
النهج الذى سرنا فيه حتى يكونوا مثلنا فى علوم العربية حفظا وإدراكا وفهما .



معجم القرآن الكريم

منذ زمن طويل دعوت إلى تأليف معجم الإسلام ودائرة معارف الإسلام ودائرة معارف
الفقه الإسلامي ، وقد ألفت نموذجاً لمعجم الفقه الإسلامي ، كتبت فيه عن ثمان وعشرين
كلمة منها : إيلاء ، وبهيمة ، ورهن ، وطلاق ، ونكاح وغيرها ، وبلغت صفحات هذا
المعجم حوالى ستة آلاف صفحة ، ولو كتبت معجم الفقه كما خططت له لبلغ عدد صفحاته
عدد صفحات دائرة المعارف البريطانية .

أما اقتراحى تأليف معجم القرآن فقد قدمته فى حديث إذاعى أذيع فى الأسابيع الأولى
من تأسيس الإذاعة السعودية بجدة .

ومقترحاتى فى حاجة إلى استعداد نفسي وعلمي قبل الاستعداد المالى ، ويظهر أن أوان
الأخذ بأسباب تنفيذ ما اقترحت لم يحن بعد .

إلا أننى أجدد دعوتى إلى تأليف معجم للقرآن الكريم ، وليس تحقيق هذه الدعوة الخيرة
بعسير ، ولو ملكت من الأمر لأنجزت تأليف معجم القرآن خلال سنة بمشيئة الله .

ولست أقصد أننى أقوم أنا نفسى بالتأليف ، بل أضع المنهج الذى يكفل إنجاز تأليف
معجم القرآن الكريم خلال سنة بمشيئة الله .

والمنهج الذى وضعته يتلخص فيما يأتى :-

أولا : إعداد مواد المعجم وترتيبها حسب حروف الهجاء ، فنبدأ بآل ، ثم أب ، ثم أث ، ثم إبراهيم ، ثم أبى وهكذا إلى يأجوج ، فيثس ، فيتيم ، فيد .

ثانيا : نوزع الكلمات على علماء كبار ، فكلمة إبراهيم تكتب ترجمة وافية فى الكلمة ومعناها فى لغتها الأصلية ، وترجمة وافية دقيقة لأبى الأنبياء وحياته وديانته ورسالته ، وكلمة « فيل » مثلا ، تكتب فى هذا الحيوان أدق ما عرفه العلم والتاريخ الطبيعى ، وعن موطنه وطبيعته ، وهكذا .

وإن توزيع المواد يختصر لنا الزمن ، ويكون حينئذ فى وسعنا إنجاز تأليف معجم القرآن خلال سنة بعد إعداد المواد .

والحق ، أن علماء المسلمين قد أوجدوا كثيرا من علوم القرآن وألفوا معجم ألفاظه ومعجم غريبها ، وبقي من أعظم الأعمال عمل معجم للقرآن .

وقد سبقنا إلى مثل هذا العمل فى الكتاب المقدس لدى النصارى ، سبقنا إليه المسيحيون فألف الدكتور جورج بوسب الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت معجما للكتاب المقدس باسم « قاموس الكتاب المقدس » فى مجلدين طبع الأول منها سنة ١٨٩٤ م والثانى سنة ١٩٠١ م وكان طبعهما ببيروت ، وأعيد طبعه غير مرة ونفذ من الأسواق .

ولما رأى الإنجيليون حاجة الناس إلى قاموس الكتاب المقدس قام مجمع الكنائس فى الشرق بهذه المهمة ، وألف كتيبة من أكبر رجال اللاهوت ومن أعظم العلماء المسيحيين فى الشرق العربى وفرغوا أنفسهم للتأليف فألفوا معجما جديدا لكتابهم المقدس دعوه « قاموس الكتاب المقدس » وطبعوه طباعة فاخرة ، وعمموا نشره ، إذ جعلوا ثمنه فى متناول كل راغب فيه .

وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م ونفذت كل نسخها فقرر مجلس الكنائس فى الشرق الأدنى إعادة طبعه فطبع الطبعة الثانية سنة ١٩٧١ م فى مجلد واحد ضخمة طباعة فاخرة .

ولم يكتف مجلس الكنائس بإعادة الطبع ، بل قرر أن يفيد من الكشف الجديدة والدراسات الحديثة فيؤلف معجما حديثا يساير ما جدّ حتى يكون المعجم متطورا يلبي رغبة كل عالم ومثقف .

والعالم العربي والإسلامي في أشد حاجة من المسيحيين الى معجم القرآن الكريم الذى خلت منه لغات أقطار المسلمين أيضا .

وللكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى معجمات كثيرة فى فنون وعلوم مختلفة سبقونا فيها وتخلفنا نحن عنهم فيما كان واجبا أن نسبقهم فيها إليها ، فهم قد ألفوا لنا دائرة المعارف الإسلامية التى لم نستطع حتى اليوم ترجمة كل أجزائها .

ولا عذر لنا فى هذا التخلف بعد أن استقلت أقطار العروبة والإسلام ، وفتح الله لأقطار عربية وإسلامية كنوز الأرض وخزائنها .

وأنا أوجه قتراحى بتأليف معجم القرآن لأى أمير من أمرائنا أو أى ثرى من أثريائنا ، وإن فى أحد من أولئك وهؤلاء غناء .

فمن صاحب الحظ السعيد الذى يسبق إخوانه فيتم هذا المشروع العظيم على يديه فيكون له يد على كتاب الله عز وجل فيذكر اسمه ذكرا حسنا يتجدد مدى الدهر بمشيئة الله .

وعندما يوفق الله للفكرة من ينفق على تنفيذها نفصل منهج العمل لئتم البدء فيه على اسم الله ، البدء فى تأليف معجم القرآن الكريم .



النشر والغنى القرآن بدل نشر ترجمات معانيه

كثرت مباريات ترجمة معاني القرآن الكريم بين كثير من الادارات في المملكة العربية السعودية وفي غيرها أيضا . وأنفق على طبع هذه الترجمات بمختلف اللغات مئات الملايين من الريالات .

وما تشك أن هناك من انتفعوا به ممن يحسنون تلك اللغات التي ترجمت اليها معاني القرآن الكريم .

والسؤال : هل تكافأ الانتفاع من الترجمات مع ما أنفق عليها من الأموال الكثيرة ؟ .
ترجمت معاني القرآن إلى اللغة الصينية فكم عدد من انتفعوا بالترجمة ؟
الترجمة لا تدخل الصين الشيوعية . أما الصين الوطنية فلا يزيد عدد المسلمين فيها على ستين ألفا .

وهذا يدل على أن نسبة الانتفاع غير متكافئة مع الأموال المبذولة في الترجمة .
وكذلك الأمر بالنسبة للترجمات الأخرى .

ولا شك أن الترجمات إلى الإنجليزية أكثر من الترجمات إلى اللغات الأخرى ،
والناطقون بالإنجليزية أكثر عددا من الناطقين بغيرها في غير أهلها .

فما حجم الانتفاع من الترجمات الى الإنجليزية ؟. إنه حجم ضئيل إذا قيس على النفقات الكبيرة في الطبع .

وأرى هذه المباراة في طبع الترجمات وفي الإنفاق السخي عليه قد تعددت وكثرت ، كما سرت عدوى الترجمة من معانى القرآن إلى الحديث الشريف فترجم صحيح الإمام البخارى الى الإنجليزية والى بعض اللغات الأخرى كما قيل لى ، وأذكر أن صحيح البخارى مترجم كله ، وبخزانة كتبى نسخة كاملة من الترجمة .

وأنا أنظر إلى هذا العمل الضخم من زوايا أخرى ، بل يجب علينا أن ننظر فى كل مشروع نريد القيام به من جميع الجوانب والزوايا حتى لا تقع فيما نكره .

وأول ما أذكره أن حجم الانتفاع بهذه الترجمات جدٌ ضئيل بالنسبة إلى الأموال التى بذلت فى طبعتها .

ثم إن فى هذه الترجمات وشيوعها محاربة للغة القرآن والحديث اللذين يفقدان بلاغتهما عندما يترجمان أو تترجم معانيهما وبخاصة القرآن الكريم .

وأعداء الاسلام والقرآن ولغتهما ينفقون مئات الملايين وما يزالون ينفقون بسخاء فى محاربة اللغة العربية وحصارها حتى لا تنتشر فى أقطار الاسلام والمسلمين ليبقى كل قطر منها كالعضو المبتور من الجسد .

وبقاء أقطار المسلمين معزولا بعضها عن بعض بسبب الحدود واللغات والجنسيات يمنع تقدمها ويضعف قواها وأثرها ويجعل على الدوام ضعيفة فقيرة متأخرة خفيفة فى الميزان .

ولو أن الدول العربية والإسلامية التى تنفق مئات الملايين فى ترجمة معانى القرآن الكريم أنفقتها فى نشر اللغة العربية وتعليم شعوب الأمة الإسلامية لكان أجدى ، فاللغة أعظم مقومات الحياة والحضارة وأدعى إلى الجمع والتوثيق .

ولخير لنا أن نعلم المسلمين لغة الإسلام التى هي لغة القرآن حتى يقرأوا القرآن فى لغته الأصيلة ويفهموا منه ما استطاعوا إلى فهمه سبيلا .

إن هذا أجدى من أن يقرأ المسلم القرآن مترجم المعانى ، لأن هذه الترجمة ليست قرآنا .
وإنما القرآن هو القرآن العربي وليس غير .

وأخوة الاسلام لا تتم إلا بالوحدة فيما بين المسلمين (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا
ربكم فاعبدون) فهذه الوحدة يجب أن تتم بين المسلمين لتكون الأخوة الاسلامية صحيحة
وسليمة .

وإن وحدة العقيدة تدفع إلى وحدة أمة الإسلام ، وهي تقضى بوحدة اللغة التى بها يقوم
التوحيد بين الناطقين بها . وما فى الأرض لغة توحد كلمة المسلمين غير اللغة العربية دون
سواها على الإطلاق والتعميم ودون استثناء . لأن الله الذى خلق كل اللغات علم أن لغة
العرب خيرها وأجلها وأفصحها وأعظمها وأفضلها فاخترها لغة كتابه العزيز .

فاللغة العربية وحدها التى تجمع المسلمين وتوحد كلمتهم وصفهم وهي وحدها القادرة
على أن تجعل المسلمين جميعا أكبر قوة خيرة فى العالم بمشيئة الله .

وعندما انتهيت الى كتابة هذه الفقرة الأخيرة وقع بين يدي الجزء الأول من تفسير المنار
فذكرت أن الشيخ محمد رشيد رضا قد عرض فى مقدمة التفسير لما عرضت له فى هذا المقال
فرأيت أن أنقله أؤيد به ما ذهبت إليه .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا : « القرآن هو حجة الله البالغة على دينه الحق ، فلا بقاء
للإسلام إلا بفهم القرآن فهما صحيحا ، ولا بقاء لفهمه إلا بحياة اللغة العربية ، فإن كان
باقيا فى بعض بلاد الأعاجم فإنما بقاءه بعض العلماء العارفين من التفسير ما يكفى لرد
الشبهات عن القرآن عندهم ، ويبقاء ثقة العامة بهم وبما يقولونه تقليدا لهم فيه ، أو بعدم
عروض الشبه لهم من دعاة الأديان الأخرى ، مع تأثير الوراثة والتقليد من قبيل ما يسمى
فى العلم الطبيعى : بحركة الاستمرار . ولهذا اتفق علماء الإسلام من العرب والعجم على
حفظ اللغة العربية ونشرها كما تقدم ، وكان العلم والدين فى أوج القوة بحياة اللغة العربية .

« كان جميع من دخل فى الإسلام يشعر بأنه صار أخا لجميع المسلمين وأن أمة هي الأمة

الإسلامية ، لا العربية ولا الفارسية ولا القبطية ولا التركية كما قال تعالى : (٢١ : ٩٢) وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

« ومن البديهي أن وحدة الأمة لا تتم إلا بوحدة اللغة ، ولا لغة تجمع المسلمين وتربطهم إلا لغة الدين الذى جعلهم بنعمة الله إخوانا ، وهي العربية التى لم تعد خاصة بالجنس العربى إذا نظرنا إلى الأجناس (المعبر عنهم فى إصلاح المنطق بالأصناف) من جهة أنسابهم وأوطانهم .

« ولهذا كان يجتهد مسلمو العجم بخدمة هذه اللغة كما يجتهد مسلمو العرب بلا فرق ، ويعدونها لغتهم ، لأنها لغة القرآن التى تقوم بها حجتهم ، وهم من أمة القرآن كالعرب بلا فرق . قال تعالى : (٤٩ : ١٣) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) »

« وفى حديث جابر عند البيهقي وابن مردويه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة الوداع فى وسط أيام التشريق : « يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، لا فضل لعربى على عجمى ؛ ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى . يا رسول الله ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب » .

« ثم حدثت للإسلام عصبية الجنسية الجاهلية التى حرمها الإسلام ، وشدد فى منعها بعد أن ضعف العلم والدين فى المسلمين بضعف اللغة العربية فيهم ، حتى قام بعض الأعاجم فى هذه السنين الأخيرة يدعون قومهم إلى ترجمة القرآن بلغتهم ، والاستغناء عن القرآن العربى ، زاعما أن الإسلام دين ليس له لغة ، وغلا بعض هؤلاء فى بغض العربية فدعا مسلمى قومه إلى الأذان والصلاة والخطبة بلغتهم وقد أجمع المسلمون بالعمل على إقامة هذه الشعائر الإسلامية بلغة الإسلام العربية الى اليوم .

وكان من عاقبة هذا الضعف فى العلم والدين أن بعض المسلمين فى بلاد الأعاجم

(كجاجة) التى يقل فيها العلماء العارفون بالدين ولغته . القادرون على دفع الشبه عن القرآن صاروا يرتثون عن الإسلام لإيضاح دعاة النصرانية خلاهم . وسؤالهم الفتنة للتشكيك فى القرآن والطعن فيه . وأين من يفهمه ويدافع عنه هناك ؟ ومنهم من صار يفخر بسلفه من الوثنيين والمجوس حتى بفرعون الذى لعنه الله فى جميع كتبه » .

مضى على هذا الكلام أكثر من ستين سنة . ولو كان السيد محمد رشيد رضا حيا لهالته كثرة ترجمات معانى القرآن والمباراة الحامية فى طبعها ونشرها بمختلف اللغات مما قضى على شوق المسلمين من غير العرب على قراءة كل القرآن أو أكثره فى لغته العربية الأصيلة التى نزل بها .

إن المسلمين من غير العرب كانوا وما يزالون فى شوق الى تعلم العربية ليقروا القرآن ويفهموه فشغلناهم بالترجمة عن التطلع إلى تعلم العربية .

وخير للذين ينفقون مئات الملايين على ترجمات معانى القرآن أن ينفقوها على تعليم عامة المسلمين العربية حتى تنتشر بينهم . وبذلك تقوم وحدتهم على أساس متين . ويستعيدوا مجدهم الحق من جديد . لأن القرآن سيجمعهم على الحق والخير .

فلنأخذ أنفسنا بنشر العربية حتى تنشر بذلك القرآن لنكون من المفلحين بمشيئة الله تبارك وتعالى وبعوته .

وبعد ؛ أيقراً ترجمات معانى القرآن الكريم من نترجمها لهم ؟! .
على سبيل المثال نأخذ الانجليز والأمريكيين . لأن ما طبع بالإنجليزية من ترجمة معانى القرآن أكثر الطباعات عددا .

فهل هؤلاء الذين يعرفون الإنجليزية يقرأون ترجمات معانى القرآن ؟ وكم عددهم ؟ .

أعتقد أن من قرأ ترجمات معانى القرآن نادر ، بل لا تكاد النسبة تبلغ واحدا في الألف في كل بلدان العالم إذا لم تكن أقل من ذلك .

وأعتقد أن من قرأوا منها شيئا يسيرا قليل لا يبلغون المئات .

ودليلي العرب وغيرهم ، فكم بين العرب من يقرأون القرآن كله ؟ ليجب كل قارئ على السؤال بحسب درايته ويجعل من نفسه مثلا . ثم ليفكر في الأمر ليدرك عدد من يقرأون ترجمات معانى القرآن ، أما ترجمة صحيح البخاري فنادر من يقرؤه كله . لأن الذين يقرأونه من أوله إلى آخره في لغته الأصلية نادرون .

فإذا كان قراء العربية لا يقرأون القرآن كله إلا في حالة الندرة النادرة فمن الطبيعي أن يكون غيرهم أقل اهتماما .

وإذا كان من يعرفون الإنجليزية من غير المسلمين لا يقرأون كتابهم المقدس أفتراهم يقرأون كتاب غيرهم ؟ كلا .

عنّ لى ذات مرة أن أقوم بتجربة أردت منها الوقوف على نسبة من يقرأون الكتاب المقدس لدى النصارى أو الأناجيل الأربعة ، والذي دعانى الى القيام بهذه التجربة أن صديقا أمريكيا مهندسا وزوجته كانا مدعوين لديّ للعشاء ومعهما أولادهما الأربعة : بنت وثلاثة أبناء . وكان الحديث في الديانات فقال الضيف - وكان مهندسا وعلى المعاش - : منذ أربعين سنة تركت الدين كله ، ولم أختم أي إنجيل من الأناجيل .

وكان ذات مرة قد حضر حفلة بدارى أكثر من ثلاثين أمريكيا ، فيهم أطباء كبار في مختلف فروع الطب ، ومهندسون ، وساسة ، وإقطاعيون ، وتجار ، ومديرون ، وسألتهم عن الأناجيل ، وهل قرأوها ؟ فأجمعوا كلهم على أنهم لم يختموا إنجيلا قط ، وإن قرأوا صفحات من بعض الأناجيل .

ووسعت نطاق التجربة ، فسألت محامين وكتابا وعمالا وغيرهم حوالى مئة عن مدى

اطلاعهم على الأناجيل . فأجابوا مثل سابقهم . وأجمعوا هم ومن قبلهم على أن لهم عقوداً من السنين لم يفتحوا كتبهم المقدس .

فإذا كانوا منصرفين عن كتبهم المقدس فهم منصرفون عن كتاب غيرهم .

والرأي الذي أراه ألا نعيد طبع ترجمات معاني القرآن . وألا نكرر التجربة مع اللغات التي لم تترجم إليها بعد . ونكتفي من ترجمة معاني القرآن بترجمة معاني آيات نختارها في العقيدة والوحدانية وأركان الإيمان والإسلام . وفي الحكمة والموعظة والأدب والاجتماع وتربية النفس . وسير بعض الأنبياء . وبعض الأحكام . وبعض معاني سور كاملة من كتاب الله .

أما في الحديث الشريف فنختار أحاديث في الموضوعات التي سبق اختيارها من آيات القرآن . كما نترجم بعض أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم وخطبه في حجة الوداع .

ونترجم ذلك إلى أكثر اللغات في كتيبات صغيرة نفقن (بتشديد النون) في توزيعها . وما يعرض للبيع يباع بثمن رخيص تنفقه في خدمة الإسلام وإعلاء كلمة الله .

وسيقبل ملايين الناس في العالم على القراءة . وسنحملهم على مصادقة الإسلام والارتياح له . وقد يدفعهم ذلك إلى الدخول في دين الله الحق بمشيئته وفضله .

ويجب أن نتخير المناسبات في توزيع هذه الترجمات . ونفقد من تجارب غيرنا كالمسيحيين في خدمة دينهم والدعوة إليه والدعاية له .

كنت أنا وأسرتي بمدينة « سكرمنتو » عاصمة كاليفورنيا إحدى الولايات في أمريكا . وكنا نحتفل بعيد الأضحى فزارنا ثلاث فتيات شابات . يوزعن بالثمن مختارات من الأناجيل مطبوعة في كتيبات جميلة المظهر والطباعة . فاعتذرنا بأننا عرب . ولا نريد إلا ما كان بالعربية فاستمهلن دقائق . ومضين لخالهن .

وبعد ثلث ساعة عدن ومعهن نسخ بالعربية مما يمكن حمله في الجيب أو في حقيبة

اليد ، فاشترت منهن نسخة . وقرأتها أنا وقرأتها زوجتى وأولادى حتى ابنى الأصغر فى السابعة من عمره قرأها .

ولقد أعجبنى حسن اختيار من اختار فقرات الأناجيل وسلامة ذوقه . إذ لم يختار غير الإنسانية ، وكان الطبع رائعا والورق جميلا . والإخراج آية فى الروعة والتأمل . وكان الغلاف تحفة فنية .

ومدينة « سكرمنتو » مدينة صغيرة وإن تكن العاصمة . ومع هذا لا يفوت القائمين على نشر المسيحية والترويج لها معرفة الغرباء فى مدينتهم ، والتردد عليهم زائرين .

ونحن حريون أن نصنع ما يكون لنا عوناً فى نشر ديننا ولغتنا . فنحسن الاختيار . فنختار الإنسانية التى يتفق كل الناس فى حبها والارتياح اليها والإعجاب بها . لأنها هى المحصة التى يشترك بنو الانسان جميعا فيها دون نظر إلى اختلاف الدين واللغة والجنس والوطن واللون .

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وديننا الحنيف هما الإنسانية العليا فى مكارم الأخلاق وصحة المعتقد .



نشر لغة القرآن وتعليمها أجدى من ترجمته معانيه ونشرها

هذا رأيي الذي رأيته مجردا عن الهوى والمصلحة الخاصة وعن محاباة أحد ، بل استخلصته من تجارب ودراسات لخمسين عاما أمضيتها متفرغا للعلم ، غير ناظر إلى « المادة أربيها ، ولا طامع في وظيفة ، أو راغب في دنيا أصيبيها ، وإنما رأيت في ترجمة معاني القرآن ما رأيت وأنا أقصد إعلاء كلمة الله . ونشر لغة كتابه حتى لا يكون بين الناس وبخاصة أهل الإسلام والقرآن وسيط . بل أود أن يقرأ المسلم القرآن كما أنزل . ويفهم منه بذوقه وعقله ومعرفة للغته ما يسهل فهمه عليه . وإذا أراد التوسع فليديه أهل الذكر يتلقى منهم ما يريد من الخير والعلم .

وعندما نشرت مقالى « انشروا القرآن نفسه بدل نشر ترجمات معانيه » لم أحسب حساب من يرضى وسخط من يسخط . لأنى كتبته لوجه الله وحده .

ومعنى نشر القرآن لا يدخل فيه طبعه وتوزيعه في مفهومي ومقصدي . بل أردت تعليم الناس لغته ، ثم ندعهم وشأنهم مع كتاب الله . وليس بمحجور أن يفسره لهم . ونبين بعض أسرارها وما فيه من حكم وأحكام .

وأنا لم أنف عن الترجمات ما فيها من نفع . ولكنى أردت ما هو أكثر نفعاً وأدومه .

وقد أشرت الى ما فى الترجمات من خير . ووازنت بين هذا الخير المحدود وما يقابله من خير أبقى وأجدى وأشمل وأكبر .

وكان فى حسابى معارضة أناس عن حسن نية . ويجوز أن يكون معارضون بسوء نية . وتعودت المعارضة النزيهة واللئيمة . ولكل ضرب من ضروب المعارضة موقف ومقال .

ويعلم الله أن المقال الذى كتبته ونشرته بجريدة الندوة بعنوان « انشروا القرآن نفسه بدل نشر ترجمات معانيه » لم يدفعنى الى الكتابة والنشر إلا الرغبة فى الخير والاصلاح . وايتار ما هو أعلى على ما هو أدنى .

وقرأت فى جريدة « الندوة » بعدها الصادر يوم الأحد ١٦/٥/١٤٠١ مقالا للأستاذ محمد محمود حافظ وقف بعضه على ملاحظات أربع لاحظها على مقالى .

ولى على ملاحظات السيد المحافظ ملاحظات كثيرة لا أجد عندى وقتا أضعه فى ذكرها فرأيت الإقلال منها وإيجازها .

وما أزال أحسن الظن بالدوافع التى دفعته إلى تلك الملاحظات وأعزوها الى حسن النية .

وهاهو ذا ردنا على ملاحظاته التى قال فى الأولى منها : « إن الجهات التى تقوم بترجمة معانى القرآن فى بلادنا إنما تترجم المعنى أو انها تطبع ترجمة لمعانى القرآن إلى لغة يتحدث بها المسلمون ، ولا أعرف أنها تقوم بترجمة القرآن كما يقول الأستاذ العطار لأن ترجمة القرآن مستحيلة . وربما تكون هذه المحاولة من قبل المستشرقين » .

والسيد المحافظ لا يعزب عن درايته أن كاتب هذه السطور لا يقول ما نسبته اليه . فاذا عرف هو أن ترجمة القرآن مستحيلة فنحن قد سبقناه الى هذه المعرفة . وعلى الأقل سبقناه إليها فى المقال الذى لاحظ عليه أربع ملاحظات لا محل لهن جميعا فى ميزان الحق والواقع .

وأنا لم أقل : « ترجمة القرآن » وأي إنسان منصف يقرأ مقالى يعرف أن ما قلته هو « ترجمة معانى القرآن » وإن سقطت من عبارة واحدة من عبارات كثيرة كلمة « معانى » .

فعنوان المقال المكتوب بحرف كبير ينص على « انشروا القرآن نفسه بدل نشر ترجمات معانيه » وكان وحده كافيا لأن يهذى إلى الرشد والحق والصواب ، وكما قالوا : الكتاب يقرأ من عنوانه .

وما من عبارة ورد بها « ترجمة معاني القرآن » إلا اشتملت على كلمة « معاني » بين الترجمة والقرآن ، وما أكثر جملة « ترجمة معاني القرآن » ورودا في المقال .

وأول جملة في مقالى كانت « كثرت مباريات ترجمة القرآن » وسقطت منها كلمة « معاني » بعد كلمة « ترجمة » وما كان ذلك خافيا على أي قارئ ، لأن كل عبارة ورد بها ترجمة معاني القرآن ابتداء من العنوان كانت ذات دلالة واضحة لا يخطئها أحد .

وسقوط كلمة « معاني » لا يعطى أى صاحب هوى أي خجة على أن يأخذ علي تبعة السقوط لأن نظائر هذه العبارة تفصح عن الاستقامة والصواب اللذين يؤكدهما العنوان .

أما أن ترجمة القرآن مستحيلة فتحصيل حاصل مفهوم عند كل المثقفين في العالم . لأن ترجمة أي أثر أدبي من لغة إلى لغة تفقده - على الأقل - نجو اللغة الأصلية إذا كان المترجم بارعا حاذقا .

والقرآن يفقد إعجازه عندما يترجم إلى أي لغة ، هذا هو الحكم العام الغالب ، وإن كان في الوسع ترجمة آيات المواظ وبعض الأحكام ترجمة دقيقة ، وإن كانت القاعدة في الترجمة أن ما يترجم من لغة إلى أخرى يفقد الجو اللغوي الأصل الذي يتنفس فيه الأثر الأدبي الرائع .

وإذا فطن السيد المحافظ إلى استحالة الترجمة فنحن إليها أفطن . وقد سبقناه إلى هذه « البديهية » في المقال الذي لاحظ عليه ، فقد قلنا : « .. القرآن والحديث اللذين يفقدان بلاغتهما عندما يترجمان أو تترجم معانيهما وبخاصة القرآن الكريم » .

وقلنا أيضا : « إن هذا أجدى من أن يقرأ المسلم القرآن مترجم المعاني ، هذه الترجمة ليست قرآنا ، وإنما القرآن هو القرآن العربي وليس غير »

فنحن عرفنا استحالة ترجمة القرآن قبل ملاحظات السيد الحافظ . بل عرفنا ما هو أبعد من ذلك ألا وهو استحالة ترجمة معانى القرآن - فى الأغلب الأعم - بحيث يسع المترجم أن يعطى الصورة البلاغية والإعجاز اللذين اكتسبتهما معانيه من القرآن .

وصاحب الملاحظات ساق دعوى استحالة ترجمة القرآن وأردفها بما يهدمها إذ قرر أن محاولة ترجمة القرآن قام بها المستشرقون .

وكيف يقومون بمحاولة المستحيل ؟ أليست المحاولة تنفى الاستحالة ؟

وليس عمل المستشرقين محاولة للإتيان بالمستحيل ، وإنما عملوا ما يمكن عمله لأى مقتدر . لقد عملوا على ترجمة معانى القرآن . وليس ما عملوه محاولة ترجمة القرآن كما فهم السيد الملاحظ .

إنهم قرأوا الآية بلغتها العربية . ولكي يفهموا معناها رجعوا الى كتب التفسير واللغة ثم ترجموا المعنى حسب فهمهم إياه .

والملاحظة الثانية للسيد الحافظ قوله : « إن اتهام هذه المحاولات بأنها محاربة للغة القرآن فيها (كذا) والصواب : فيه ، لأن الضمير يعود إلى مذكر وهو اتهام وليس اسم الإشارة (هذه) لأن العبارة حينئذ تختل اختلالاً مبالغاً ، وتحمل (كذا) عنصر الشاؤم مع أن معانى القرآن وانتشارها يخدم (كذا) المسلمين فى فهم معنى النص » الخ .

إن الذين قاموا بمحاولة ترجمة معانى القرآن كانوا ذوى مقصد حسن ، ولكن فى الترجمات محاربة للفصحى . وأوضح لحضرة السيد هذه المحاربة الخطيرة .

إن هذه الترجمات تحول دون انتشار الفصحى وتجعلها مزويةً فى الكتب وصدور الناطقين بها . وأعظم هم لأعداء لغة القرآن أن يحولوا دون انتشارها ، وأن يضعفوها فى أقطارها . بل حاولوا قتلها بإحلال العامية محلها . حتى سمح بعضهم بترجمة القرآن إلى اللغة العامية . واستعملنا كلمة « ترجمة القرآن » حكاية لمن استعملها من دعاة العامية الذين ظنوا أنفسهم أوصياء على العرب ولغتهم وحياتهم . فهزمتهم الفصحى فزالوا وبقيت لغة القرآن .

سمح بعض أعداء الفصحى بترجمة القرآن إلى العامية تكريماً منهم على من يريدون الاحتفاظ بالقرآن تبركاً .

وقد تصدينا منذ أكثر من أربعين سنة لدعوات هدم الفصحى ، وألغينا في الرد عليها كتباً كثيرة ابتداءً من « كتابي » المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ .

وأنا عندما قلت : « إن في هذه الترجمات وشيوعها محاربة للغة القرآن والحديث » لم أكن مبالغاً ولا متساهلاً ، بل كنت أقرر واقعا مشهودا ، فأنا من الأفراد القلائل في هذا العصر - والحمد لله - الذين كشفوا مخططات أعداء الإسلام والقرآن ومحمد عليه الصلاة والسلام .

وإن هؤلاء الأعداء يروجون لدعواتهم التي يراد منها ضرب لغة القرآن بما يخدم أصحابها ويحملهم على أن يكون منهم محاربون للفصحى ، وما نريد أن نعيد ما سبق ترده في عديد من مؤلفاتنا وفي أحاديثنا خلال بضعة الشهور الماضية في الإذاعة السعودية ، وأحاديثنا التي ما يزال يذاع بها في هذه الأيام .

إن من أعظم أهداف أعداء الإسلام محاربة الفصحى وزَيِّهاً في أضيق الحدود . ومن هذه الأهداف ترجمة معاني القرآن والحديث إلى اللغات الأوروبية الحية وإلى مختلف اللغات الأخرى ، لأن في الترجمات تمكيناً لتلك اللغات وترويجاً ونشراً وليس للغة القرآن .

فإذا ترجمنا معاني القرآن إلى الإنجليزية وطبعنا مئة ألف نسخة وزعناها على العالم فقد ثبتت الإنجليزية تثبيتاً وروجناها ودعونا لها ونشرناها في الخافقين .

وأي براعة في التخطيط أعظم من أن نتولى نحن أنفسنا نشر لغة أعدائنا .

ولو أننا علمنا خمسة آلاف إنسان اللغة العربية لكان ذلك أجدى من طبع مئة ألف نسخة بالإنجليزية .

وقول السيد الحافظ : « إن معاني القرآن وانتشارها يخدم (كذا) المسلمين في فهم معنى النص » ليس بصحيح .

ولم يفتنا إدراك ما أدركه . فقد أدركنا قبله دون أن يتطرق إلى إدراكنا المخطئ الذى تتبطنه كلمة السيد الحافظ .

فنحن قد سبقناه وقلنا فى مقالنا الذى لاحظ عليه : « وما شك أن هناك من انتفعوا به ممن يحسنون تلك اللغات التى ترجمت إليها معانى القرآن » .

فنحن لم ننفع عن تلك الترجمات كل نفع . بل أثبتنا ما فيها من نفع لم يشغلنا عما فى ذلك من الضرر . ورأينا أن حجم الانتفاع لا يتكافأ مع ضخامة الإنفاق ، ولا يحو آثار خدمة لغات الأعداء وآثار الإضرار بلغة القرآن .

وإذا كنا نرى ما رأينا فاتنا واثقون من حسن نيات القائمين على مشروع الترجمات وطبعها ونشرها ومقصدهم الطيب واجتهادهم . كما أننا نؤكد أن البديل عن الترجمات خير منها ألف مرة . وذلك هو تعليم العربية .

وأما ما ذهب إليه السيد الحافظ من أن انتشار معانى القرآن يخدم المسلمين فى فهم معنى النص القرآنى فليس بواقع . لأن المسلمين الذين يجهلون العربية ويقرأون ترجمة معانى القرآن لا يمكن أن يفهموا معنى النص القرآنى . وكيف يفهمونه وهم يجهلون لغته ؟ .

وحفظ سور من القرآن وآيات من أجل الصلاة من قبل من لا يعرفون العربية لا يعينهم اطلاعهم على ترجمات معانى تلك السور والآيات على فهم ما يتلونه . لأن ما يتلونه إنما هو بلغة يجهلونها .

والسيد الحافظ يوهم القارىء بأننا قررنا ما أنكره كأنما ينكره علينا مع أن ذلك لم يصدر منا .

يقول : « ولا يمكن أن يتعبد المسلم بالمعنى دون اللفظ فى صلاته لأن ذلك يعنى تحريفا (كذا) وهو أمر لا يجوز إطلاقا » .

أزعمنا نحن شيئا مما أنكره ؟ أفى مقالنا ما يفهم منه أننا ذهبنا الى جواز الصلاة بمعنى القرآن دون لفظه ؟ كلا .

وليس القرآن للصلاة وحسب . وإنما هو للصلاة والتلاوة ولإصلاح النفس والمجتمع وللأحياء والحياة وما فيها . وهو شرعة للناس ومنهاج . وفي وسع المسلم أن يتعبد بالمعنى عندما يقرأ الترجمة للوقوف على ما فيها مما جاء في القرآن من تاريخ وسير وأحكام وحكم ومواظ ووصايا وآداب وأخلاق وعلوم وفنون وسلوك واجتماع الى غير ذلك .

وأسأل : أهنالك معنى مجرد بدون لفظ ؟

إن هذا أمر لا يمكن تصوره إذ لا وجود له البتة !

وإن قوله : « لأن ذلك يعد تحريفا » خطأ في سياق الجملة . ولا وجود للتحريف في ذلك .

أما الملاحظة الثالثة فأوضحها بقوله : « أدت هذه الترجمات لمعانى القرآن الكريم الكثير من الفوائد لانتشار القرآن والحصول عليه واقتنائه بين أوساط المسلمين في أماكن بعيدة عن بلادنا » .

ما ضرورة هذه الملاحظة ؟ أنفينا عن الترجمات ما فيها من فوائد حتى يذكر هذه الملاحظة التي لا مكان لها ولا ضرورة ؟ إننا سبقناه فقررنا أن فيها نفعا .

وهذه الملاحظة الثالثة حوت ما يستحق الرد والسؤال : أثمرت هذه الترجمات انتشار القرآن والحصول عليه واقتنائه ؟ أنا أجيب قائلا : كلا . والحق والواقع يؤيدان قولي .

فمن وصلته نسخة من الترجمة إما أن يكون عارفا بالعربية واللغة التي ترجمت اليها معانى القرآن . أو يكون غير عارف بالعربية . فإن كان غير عارف بالعربية فإنه لا ينتفع بالمصحف الشريف كما لا ينتفع بالمصحف الذى حوته الترجمة .

أما إذا كان يعرف العربية فانتفاعه بالترجمة قليل . بل لا ضرورة له إليها . لأن في المصحف له غناء عن الترجمة إلا اذا كان يحتفظ بها لديه بمكتبته لسبب من الأسباب كما احتفظ أنا ببعض الكتب بلغات لا أعرفها . وندر من يعرفها من أبناء بلدى .

إن الترجمة لا تشر انتشار القرآن وافتتاه إذا كان لا يعرف لغة القرآن .

وإذا كان العربي المسلم الأمي الحريص على صلاته لا ينتفع بوجود المصحف لديه فإن من لا يعرف العربية وملك الترجمة لا ينتفع بوجود المصحف لديه لأنه أمي في العربية التي لا يعرفها .

والملاحظة الرابعة قوله : « إن هذه الترجمات لمعاني القرآن لا يجرى طبعها إلا ومعها النص الأصلي للقرآن باللغة العربية وبالخط العثماني (كذا) فليست هناك ترجمة لمعاني القرآن مطبوعة دون النص العربي وفي ذلك تسهيل واضح على فهم المعنى مع حفظ اللفظ لغير الناطقين بالعربية » .

لا دخل لهذه الملاحظة فيما رأيت . ومع هذا فإن وجود النص العربي في الترجمة ليس نثرا للعربية ولا للقرآن . وليس بنافع من تكون لديه الترجمة إذا كان يجهل العربية .

ومن اللغوان يدعي أن وجود النص العربي « تسهيل واضح على فهم المعنى مع حفظ اللفظ » بل هو قول يدحضه الواقع والحق .

ففى العالم ملايين النسخ من الترجمات أو مئات الألوف على الأقل وكل ترجمة تحوى المصحف ، فإذا صحت دعوى السيد الحافظ فمعناها أن مئات الألوف فهموا المعنى وحفظوا اللفظ !.

وإذا حفظوا اللفظ وفهموا المعنى فمعناه أنهم عرفوا العربية وفهموا القرآن خيرا من العرب جميعا . لأن العرب لا يحفظون اللفظ ولا يفهمون المعنى إلا بعد الرجوع إلى كتب التفسير .

ومادام هذا هو الحق فما ذهب إليه السيد الحافظ وقرره غير حق وليس بواقع .

إن وجود النص العربي لا يفيد من بيده الترجمة مادام جاهلا بالعربية .

وأما « الخط العثماني » الذى جاء فى ملاحظته الرابعة فلا وجود له . ولعله أراد الرسم العثماني .

وإذا لم يرد الرسم فما نوع هذا الخط العشوائي ؟ وما شكله ؟ وما نموذجه ؟
وموجز القول : أن ما رأيته في ترجمات القرآن إلى مختلف اللغات لم أصدر فيه عن هوى
بل عن الرغبة في الخير الأكبر والحمد لله .
ومن معجزات القرآن أن المسلمين وبخاصة العرب ومن يعرفون العربية يعاشرهم القرآن
ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً وبخاصة في صلواتهم بخلاف أهل الكتب المقدسة الأخرى التي
لا يقرأونها إلا من قصر أو عملهم على قراءتها .
وعلى أي حال ما زلت عند رأيي وأقول : « انشروا لغة القرآن بدل ترجماته فذلك خير
وأجدى وأبقى .



أيهما أولى وأجدى ترجمة معاني القرآن أم نشر لغته ؟

ترجمة الآثار الأدبية من لغة إلى أخرى تفقدها بلاغتها وروعيتها إلا فيما ندر ، والنادر شذوذ .

وإذا كانت ترجمة أثر أدبي من لغة إلى أخرى ليست أمرا سهلا فإن ترجمة القرآن من لغته العربية الأصيلة إلى أي لغة أمر مستحيل ، لأن نقل كلام الله إلى كلام البشر بأسلوبهم مستحيل كل الاستحالة ، فإذا تمت ترجمته فإن الترجمة لا تكون قرآنا أبدا ، وبذلك تفقد معنى القرآن كما تفقد كل خصائصه .

ولهذا ذهب الغُيرُ من المترجمين الفاهمين والإدارات التي تريد الترجمة إلى أنهم يترجمون معاني القرآن الكريم وليس القرآن نفسه ، وقد أحسنوا فيما صنعوا .

ومع أن ترجمة معاني القرآن من العربية إلى لغة من اللغات لا تكون في مستوى الأصل العربي لغة وأسلوبا إلا أنه أيسر من ترجمة القرآن نفسه ، لأنها - كما قلنا - مستحيلة .

ولا بأس من ترجمة معاني القرآن كاملة للدارسين الذين يريدون أن يقفوا على كل معاني القرآن .

على أن رأينا أن يُترجم من القرآن بعض السور ، وآيات أخرى من الذكر الحكيم في التوحيد ، وفي الكونيات ، والأخلاق ، والتربية والتعليم وما أشبهها ، لأن في ترجمة مثل هذه الموضوعات خيرا وأجدي وأبقى من ترجمة كل معاني القرآن .

وسبب الخير والجدوى والبقاء أن ترجمة ما يُختار من السور والآيات تكون سهلة الحمل والاستيعاب والإدراك والفهم ، وتُحصر الذهن بدل تشتيته وبخاصة في المشتبهات وفي التكرار الذي تذاق بلاغته وتذكر حكمته في العربية ، ولا تذاق وتذكر في غيرها من اللغات ، لأن لكل لغة خصائصها .

وما أنفق في ترجمة معاني القرآن وطبعها بمختلف اللغات يبلغ مئات الملايين ، وقارىء الترجمة بلغته لا يشعر بجلال القرآن ، لأن ما يقرأه ليس قرآنا ، وإنما هو معانيه بلغة أخرى .

أما الذي يقرأ القرآن بالعربية فإنه يشعر بجلاله وجماله وإن لم يعرف معنى ما يقرأ ، ولكن حسبه في بداية الأمر أن الفاظ القرآن الكريم التي نطق بها جبريل عليه السلام ثم خرجت من فم رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام هي نفسها التي يلفظها ، وفي هذا بركة ونفع ، وتعويد للسان لغة القرآن .

وكل مسلم يصلّي بالقرآن العربي ، لأنها لا تجوز بغيره ، فهو قادر بمشيئة الله ثم برغبته وعزمته أن يتعلم العربية التي لا يعسر تعلمها إذا صدقت النية والعزيمة .

وعندما تنفق على تعليم العربية ما أنفقنا على ترجمة معاني القرآن نكون قد هبنا جيوشا جراحة تقرأ القرآن العربي بلسان عربي مبين ، ويسهل على أفراد تلك الجيوش الألى يبلغون الملايين فهم معاني القرآن الكريم مادام قد تعلم لغته .

ويكون هؤلاء الذين تعلموا العربية معلمين يقومون بتعليمها لمن لم يسبق لهم تعلمها .

وهكذا ، وبذلك تنتشر العربية ويزداد عدد المتكلمين بها ، وعندئذ ينتشر الإسلام بانتشار القرآن الكريم ولغته الفصحى .

ووحدة اللغة بين الشعوب المختلفة نسب يجمعها ، وطبيعي أن النسب أساس الحب والمنفعة ، فإذا أضيف إلى وحدة اللغة وحدة العقيدة كان النسب أشمل وأكمل وأصدق .



كم عدد مَنْ يقرأ ترجمة معاني القرآن ؟

في الحديث الذي سبق دعوت إلى الانصراف عن ترجمة معاني القرآن الكريم الى ترجمة سور وآيات مختارة في العقيدة والحكمة والموعظة ومكارم الأخلاق والإنسانيات ، لأن القراءة في اللغة العربية بعد أن ينتهوا من المدرسة لا يقرأون القرآن في غير الصلوات ، وندر منهم من يقرأ في غيرها ، وأندر منهم من يختم القرآن ، وفي غير مدارس تحفيظ القرآن لا يختم الطالب المسلم القرآن كله الا نادرا .

هذا شأن العرب مع القرآن المنزل بلغتهم ، فهل شأن من نترجم لهم معاني القرآن شأن العرب أنفسهم ؟.

أحسب أنهم سواء .

وإن ترجمة معاني القرآن - على سبيل المثال - بالإنجليزية هي أكثر الترجمات نسخا لتعدد طبعاتها ، فكم عدد من يقرأ هذه الترجمات من الناطقين بالإنجليزية ؟.

أعتقد أن من يقرأ ترجمة معاني القرآن كله يعد على الأصابع ، لأن القراءة في هذه الأيام لا يجدون الوقت ، وإذا وجد بينهم من يملك الوقت فإن قراءة معاني القرآن تجهد وترهق .

ولهذا يندر من يستطيع قراءة الترجمة كاملة .

وإذا كان القارئ بالإنجليزية مسلماً حريصاً على الاطلاع فإن القراءة تستغرق شهوراً ، وكثرة الكلام ينسى بعضه بعضاً ، ونفعه من قراءة الترجمة لا يكافئ الجهد والزمن اللذين أنفقهما .

أما غير المسلمين من الإنجليز والأمريكيين ودول الكومنولث فإن عددهم مئات الملايين ، و٩٥٪ لا يقرأون أناجيلهم ، وليس بينهم واحد بالمئة يقرأ أربعة الأناجيل كلهن . بل أستطيع أن أرفع النسبة فأقول : لا يوجد واحد في كل عشرة آلاف قرأ أربعة الأناجيل كلها بله سائر أسفارهم المقدسة .

أما إذا أتينا بكتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد فإن النسبة ترتفع كثيراً بحيث لا تقل عن واحد في كل مئة ألف بل أكثر .

فإذا كان المسيحيون الناطقون بالإنجليزية لا يقرأون كتابهم المقدس ، أفقرأون معاني كتاب مقدس لدى غيرهم ، ولا يؤمنون به ولا برسول الإسلام .

إن ترجمات معاني القرآن قد كثرت ، وتعددت لغاتها ، حتى اللغة التروجية التي لا يتكلم بها إلا أقل من أربعة ملايين قد ترجمت الى لغتهم معاني القرآن الكريم .

وقرأت في إحدى الصحف السعودية أن عدد النسخ خمسة آلاف وقال لى أحد الناس : الكمية المطبوعة أكثر .

وسواء أكانت الكمية خمسة آلاف أم أكثر فإن أحداً لن يقرأ المجلدين الضخمين إلا إذا كان هناك سبب قاسر يدفعه دفعا إلى قراءته كله .

فما ينفق على الترجمة والطبع ليس كفاء الانتفاع بها . وخير للإدارات التي تتولى هذا الأمر أن تنصرف عن الترجمة التامة لمعاني القرآن الى اختيار آيات محكمة وبعض السور ، وتخير الآيات التي يقع الاختيار على ترجمتها بأن تكون بضع آيات محكمة غير متشابهات

في العقيدة . وآيات بعض الأحكام والحكمة والمواظب وسير الأنبياء والمرسلين . وبعض القصص ذوات العبرة والعظة والإنسانيات .

وإذا كنت أقترح الانصراف عن ترجمة معانى القرآن كله فإننى أقترح ألا نتورط في ترجمة كتب الحديث كاملة مثلما صنعنا بصحيح الإمام البخارى المطبوع في عديد من المجلدات ، لأن أحداً لا يقرأ الترجمات الكاملة لكتب الحديث . ويحسن بنا أن نترجم مختارات من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض خطبه كخطبته في حجة الوداع وبعض أدعيته كدعائه عندما أودى في الطائف .

وقد دعوت في الحديث السابق أن نضيف إلى المختارات في الترجمة تعليم العربية حتى يقرأوا فيها القرآن والحديث . وفى نشر لغتهما في اقطار العالم فتح نوافذ للإسلام . وتمكين المسلمين من غير العرب من قراءة القرآن والحديث . وتمكين غير المسلمين من الاطلاع وتذوق البلاغة العربية المثلى .

ونشر العربية اجتذاب لمن نعلمهم اياها . فاللغة نسب عندما لا يكون نسب . واخوة وصداقة وقربى .

ولهذا أؤثر نشر العربية على ترجمة معانى القرآن وترجمة الأحاديث والأدب والثقافة العربية الإسلامية .



إصدارات إدارة النشر بتهامة

الكتاب العربي السمودي

صدر منها :

المؤلف	الكتاب
الأستاذ أحمد قنديل	• الجبل الذي صار سهلاً
الأستاذ محمد عمر توفيق	• من ذكريات مسافر
الأستاذ عزيز ضياء	• عهد الصبا في البادية
الدكتور محمود محمد سفر	• التنمية قضية
الدكتور سليمان محمد الغنام	• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا
الأستاذ عبد الله جفري	• الظمأ (مجموعة قصصية)
الدكتور عصام خوقير	• الدوامه (قصة طويلة)
الدكتورة أمل محمد شطا	• غداً أنسى (قصة طويلة)
الدكتور علي طلال الجهني	• موضوعات اقتصادية معاصرة
الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ	• أزمة الطاقة إلى أين؟
الأستاذ أحمد محمد جمال	• نحو تربية إسلامية
الأستاذ حمزة شحاتة	• إلى ابنتي شيرين
الأستاذ حمزة شحاتة	• رفات عقل
الدكتور محمود حسن زيني	• شرح قصيدة البردة (دراسة وتحقيق)
الدكتورة مريم البغدادي	• عواطف إنسانية (ديوان شعر)
الشيخ حسين باسلامة	• تاريخ عمارة المسجد الحرام
الدكتور عبد الله حسين باسلامة	• وقفة
الأستاذ أحمد السباعي	• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية)
الأستاذ عبد الله الحصين	• أفكار بلا زمن
الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع	• علم إدارة الأفراد
الأستاذ محمد الفهد العيسى	• الإبحار في ليل الشجن
الأستاذ محمد عمر توفيق	• طه حسين والشيخان
الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي	• التنمية وجهاً لوجه
الدكتور محمود محمد سفر	• الحضارة تحذ
الأستاذ طاهر زحشري	• عبر الذكريات
الأستاذ فؤاد صادق مفتي	• لحظة ضعف
الأستاذ حمزة شحاتة	• الرجولة عماد الخلق الفاضل
الأستاذ محمد حسين زيدان	• ثمرات قلم
الأستاذ حمزة بوفري	• بائع التبغ (مجموعة قصصية)
الأستاذ محمد علي مغربي	• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة
الأستاذ عزيز ضياء	• النجم الفريد (ترجمة)
الأستاذ أحمد محمد جمال	• مكانك تحمدي

- قال وقلت
- نبض ..
- نبت الأرض
- السعد وعد
- قصص من سومرست موم
- عن هذا وذاك
- الأصداف
- الأمثال الشعبية في مدن الحجاز
- أفكار تربوية
- فلسفة المجانين
- خذ عني بحبا
- نقر العصفير
- التاريخ العربي وبدايته
- المجاز بين الإمامة والحجاز
- تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها
- خواطر جريئة
- السنيورا
- رسائل إلى ابن بطوطة
- جسور إلى القمة
- تأملات في دروب الحق والباطل
- الحمى
- قضايا .. ومشكلات لغوية
- تحت الطبع :
- كلمة ونصف
- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز
- زيد الخير
- الموت والابتسامة
- مواسم الشمس المقبلة
- هكذا علمني وردزورث
- عام ١٩٨٤ لجورج أورويل
- مشواري مع الكلمة
- وجيز النقد عند العرب
- لن تلحد
- الإسلام في نظر أعلام الغرب
- قصص من طاغور
- أيامي ..
- ماما زبيدة
- مدارسنا والتربية
- دوائر في دفتر الزمن
- الأستاذ أحمد السباعي
- الأستاذ عبد الله جفري
- الدكتورة فاتنة أمين شاكر
- الدكتور عصام خوقير
- الأستاذ عزيز ضياء
- الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- الأستاذ أحمد قنديل
- الأستاذ أحمد السباعي
- الدكتور ابراهيم عباس نتو
- الأستاذ سعد البواردي
- الأستاذ عبد الله بوقس
- الأستاذ أحمد قنديل
- الأستاذ أمين مدني
- الأستاذ عبد الله بن خميس
- الأستاذ حسين باسلامة
- الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ
- الدكتور عصام خوقير
- الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- الأستاذ عزيز ضياء
- الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
- الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
- الأستاذ محمد حسين زيدان
- الأستاذ محمد علي مغربي
- الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
- الأستاذ عبد الله باقازي
- الأستاذ محمد علي قدس
- الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهر
- الأستاذ عزيز ضياء
- الأستاذ حسن عبد الحلي قزاز
- الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
- الشيخ حسين باسلامة
- الأستاذ عزيز ضياء
- الأستاذ أحمد السباعي
- الأستاذ عزيز ضياء
- الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
- الأستاذ سباعي عثمان
- (مسرحية)
- (ديوان شعر)
- (مجموعة قصصية)
- (ديوان شعر)
- (قصة طويلة)
- (ديوان شعر)
- (شعر)
- (ترجمة)
- (مجموعة قصصية)
- (مجموعة قصصية)

- من حديث الكتب
- الموزون والمخزون
- ألحان مقترب
- الشوق إليك
- وحي الصحراء
- رحلة الربيع
- إليها
- حتى لا نفقد الذاكرة
- غرام ولادة
- أحاديث
- الموت والابتسامة
- العقل لا يكفي
- أيام مبصرة
- لجام الأقلام
- أصداء قلم

(ديوان شعر)

(مسرحة شعرية)

(مسرحة شعرية)

(مسرحة شعرية)

الأستاذ محمد سعيد العامودي

الشيخ أبو تراب الظاهري

الأستاذ طاهر زعشري

الأستاذ حسين سراج

الأستاذ عبد الله بلخير

الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود

الأستاذ فؤاد شاكر

الأستاذ حسين سراج

الأستاذ سعد البواردي

الأستاذ حسين سراج

الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة

الأستاذ عبد الله أحمد باقازي

الأستاذ محمد علي الشيخ

الأستاذ فؤاد عنقاوي

الشيخ أبو تراب الظاهري

الأستاذ محمود عارف

الكتاب الجامعي

صدر منها :

• الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية

• الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق

(باللغة الانجليزية)

الدكتور مدني عبد العادر علافي

الدكتور : فؤاد زهران

الدكتور : عدنان جعيم

الدكتور : محمد عيد

• التو من الطفولة إلى المراهقة

• الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا

• النفط العربي وصناعة تكريره

• الملامح الجغرافية لدروب الحجيج

• علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية)

• مبادئ القانون لرجال الأعمال

• الاتجاهات العددية والتنوعية للدوريات السعودية

• مشكلات الطفولة

• شعراء التروبادور

• الفكر التربوي في رعاية الموهوبين

• النظرية النسبية

الدكتور محمد جميل منصور

الدكتور فاروق سيد عبد السلام

الدكتور عبد المنعم رسلان

الدكتور أحمد رمضان شقلية

الأستاذ سيد عبد المجيد بكر

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين

الأستاذ هاشم عبده هاشم

الدكتور محمد جميل منصور

الدكتورة مريم البغدادي

الدكتور لطفي بركات أحمد

الدكتور عبد الرحمن فكري

الدكتور محمد عبد الهادي كامل

• أمراض الأذن والأنف والحنجرة

(باللغة الانجليزية)

الدكتور أمين عبد الله سراج
الدكتور سراج مصطفى زقزوق

نحت الطبع:

• الأدب المقارن

الدكتور عبد الوهاب علي الحكيم

(دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)

• هندسة النظام الكوني في القرآن

الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر

• المدخل في دراسة الأدب

الدكتورة مريم البغدادى

• الرعاية التربوية للمكفوفين

الدكتور لطفي بركات أحمد



مطبوعات
PUBLICATIONS

صدر منها:

• حارس الفندق القديم

الأستاذ صالح إبراهيم

• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك

الدكتور محمود الشهابي

• التخلف الإملائي

الأستاذة نوال قاضي

• ملخص خطة التنمية الثالثة

(باللغة العربية)

• للمملكة العربية السعودية

• ملخص خطة التنمية الثالثة

(باللغة الانجليزية)

• للمملكة العربية السعودية

• تسالي

الدكتور حسن يوسف نصيف

• مجلة الأحكام الشرعية

الشيخ أحمد بن عبد الله القاري

الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان

الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي

الأستاذ إبراهيم سرسيق

الأستاذ علي الخرجي

الدكتور عبد الله محمد الزيد

(دراسة وتحقيق)

• النفس الإنسانية في القرآن الكريم

(رسوم كار يكتورية)

• خطوط وكلمات

• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية

(باللغة الانجليزية)

• صحة العائلة في بلد عربي متطور

(باللغة الانجليزية)

• مساء يوم في آذار

(مجموعة قصصية)

• النش في جرح قديم

(مجموعة قصصية)

• الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام

الدكتور زهير أحمد السباعي

الأستاذ محمد منصور الشقحاء

الأستاذ السيد عبد الرؤوف

الدكتور محمد أمين ساعاتي

نحت الطبع:

• الوحدة الموضوعية في سورة يوسف

الدكتور حسن محمد باجودة

• الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية

الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق

• الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك

الأستاذ أحمد محمد طاشكاندي

• ألوان

الأستاذ أحمد شريف الرفاعي

• أضواء على نظام الأسرة في الإسلام

الدكتورة سعاد إبراهيم صالح

• وللخوف عيون

الأستاذ أحمد شريف الرفاعي

(مجموعة قصصية)

الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
الدكتور جميل حرب محمود حسين
الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
الدكتور إسماعيل الهلباوي
الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
الأستاذ صدقة يحيى فاضل
الأستاذ صلاح البكري
الأستاذ علي بركات

- سوانح وخطرات
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي
- نقاد من الغرب
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟
- جهاز الكلية الصناعية
- الإمكانيات النووية للعرب وإسرائيل
- القرآن .. ودنيا الإنسان
- أدباؤنا في سيرهم الذاتية

رسائل جامعية

صدر منها :

الدكتور بهاء حسين عززي
الأستاذة أميرة علي المداح
الأستاذة موضي بنت منصور بن عبد العزيز
آل سعود

- صناعة النقل البحري والتنمية
في المملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية)
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن
- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت

تحت الطبع :

الأستاذ نبيل عبد الحي رضوان
الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
الأستاذة ثريا حافظ عرفة
الأستاذة فوزية حسين مطر
الأستاذ رشاد عباس معتوق
الأستاذ عبد الكريم علي باز

- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية
- القصة في أدب الجاحظ
- الخراسانيون ودورهم السياسي
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف
- نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون
- افتراءات قليل حتى ، وبروكلمان على التاريخ الإسلامي

كتاب للأطفال

الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

لكل حيوان قصة

صدر منها :

- | | | |
|-----------------|-----------------|------------|
| • الدجاج | • الذئب | • القرد .. |
| • البط | • الأسد | • الضب |
| • الغزال | • البغل | • الثعلب |
| • الحمار الوحشي | • الفأر .. | • الكلب |
| • البيغاء | • الحمار الأهلي | • الغراب |
| • الوعل | • القراشة | • الأرنب |
| • الجاموس | • الخروف | • السلحفاة |
| • الحمامة | • الفرس | • الجمل |

كتاب للناس

وطني الحبيب

صدر منها:

• جدة القديمة

تحت الطبع:

• جدة الحديثة

• حكايات للأطفال

• قصص للأطفال

الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

الأستاذ عزيز ضياء

الأستاذة فريدة فارسي

كتب صدرت باللغة الإنجليزية

Books Published in English By Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
By F. M. Zahran
A.M.R. Jamjoom
M.D. EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.
By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian
Third Five year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference
By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- The Health of the Family in A Changing Arabia
By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat
Dr. Amin A. Siraj
Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
By Dr. Bahha Bin Hussain Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.



المؤلف

- ولد في مكة المكرمة عام ١٣٣٥ هـ وتلقى علومه بالتبديد الحرام وبالمعهد العلمي السعودي وعلى أساتيد خصوصيين.
- ابتعث إلى القاهرة عام ١٣٥٦ هـ حيث التحق بكلية دارالعلوم .. ثم عاد دون أن يكمل تعليمه بها ..
- أسس وأصدر جريدة "عكاظ" الأسبوعية عام ١٣٧٩ هـ ورأس تحريرها حتى عام ١٣٨٤ هـ .. ثم قام بتأسيسها في عهد المؤسسات في العام نفسه حيث صدرت يومية.
- أصدر مجلة "كلمة الحق" في عام ١٣٧٦ هـ.
- أصدر حوالي ٧٠ كتاباً بين تأليف وتحقيق، ومن أهم الكتب التي حفظها "معجم الصحاح" للجوهري و"ليس في كلام العرب" لابن خالويه.
- ترجم بعض روائع القصص العالمي حيث نشرت له ترجمة قصة "الزنايق الحمر" لرايندانات طاغور شاعر الهند الأكبر، ومسرحية "المنش" لنيقولا جوجول.
- من أهم مؤلفاته "موسوعة الديانات والعقائد في مختلف العصور" ويقع في ٤ أجزاء ضخمة في أربعة مجلدات.